أبو الحسن المغفل

رواية هارون الرشيد • رواية مضحكة مُلحنة
ذات ثـلاث فصول

مارون نقاش

أبو الحسن المغفل

رواية هارون الرشيد · رواية مضحكة مُلحنة ذات ثلاث فصول

تأليف
مارون النقاش

هنـــداوي

أبو الحسن المغفل

مارون النقاش

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: يوسف غازي

الترقيم الدولي: ٩ ٣٦١٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٨٦٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

بيان الأشخاص التي تظهر بهذه الرواية	٧
الفصل الأول	٩
الفصل الثاني	٤٣
الفصل الثالث	٧٩
فهرست ألحان رواية أبي الحسن المغفل	١١٩

بيان الأشخاص التي تظهر بهذه الرواية

الخليفة: هارون الرشيد، تحت اسم: دادا مصطفى.

جعفر: وزيره، تحت اسم: دادا محمود.

مسرور (عبد): سياف وطواشي عند الخليفة، في ثياب وظيفته.

أبو الحسن المغفل: في الفصل الثاني، جزء ١٩ و٢٠، يظهر فيها مؤزَّرًا ومنقَّبًا فوق ملابس الخليفة التي يدوم لابسها من أول الفصل لنهايته. وفي الفصل الأول والثالث يظهر لابسًا أثوابًا متوسطة الحال كأهل بغداد.

الحاجَّة: أم أبي الحسن، في ثياب السفر.

سلمى: بنت أبي الحسن، في ثياب بنات بغداد في الفصل الأول، ومُزيَّنة بالفصل الثالث.

سعيد: أخو أبي الحسن.

عثمان: أخو دعد.
(الاثنان في ثياب أواسط أهل بغداد.)

دعد: أخت عثمان في ثياب اعتيادية في الفصل الأول والثاني، ومزينة بالفصل الثالث.

عرقوب: شيخٌ هرمٌ، خادم أبي الحسن في ثياب خادمين في الفصل الأول، وبالفصل الثاني بأثواب جعفر، وبالفصل الثالث يرجع لثياب الخادم.

جوقة: مماليك عند الخليفة، في ثياب وظيفتهم.

إسحاق: مملوك وبوَّاب دار الخليفة، في ثياب وظيفته.

الواقعة في بغداد؛ في الفصل الأول والثالث في بيت أبي الحسن، وأمَّا بالفصل الثاني بدار الخليفة.

تنبيه

اعلم أنَّنا قد وضعنا أرقامًا لأجل فهرست الألحان كما مرَّ في رواية البخيل، ولكنْ من كون هذه الرواية ليستْ كلها ملحَّنة فعندما ينتهي اللحن ويبتدي الشعر أو النثر توضع هذه العلامة ⋆⋆⋆ كما سترى.

الفصل الأول

(في بيت أبي الحسن؛ بيت فقير الحال)

الجزء الأول

(أبو الحسن، عرقوب)

أبو الحسن (لذاته): واخلط السواد بالبياضِ.
عرقوب (لذاته): اخلط.
أبو الحسن (لذاته):

فينقضي أمري بلا اعتراض

عرقوب (لذاته): اخرط.
أبو الحسن (لذاته):

اقضي على طه إمام الجامع شيخ الخوان الخابل المخادع
والأرديا المنافقون الأربعةْ اشنقهمُ من بعد ألفِ مقرعةْ
قد كنتُ عندهمُ أعزَّ الناسِ فغادروني إذْ رأَوْا إفلاسي
فالآن آنَ القهرُ للحُسَّادِ ما دمتُ سلطانًا على بغدادِ

عرقوب (لذاته):

كم تشتهي المُحالَ في الأوهامِ ولم تَنَلْه غيرَ في الأحلامِ

(ساخرًا بأبي الحسن.)

أبو الحسن (لذاته):

وبعد هذا نخلع العذارا ونجعل الليل لنا نهارا
ثم نغنِّي مع نِقِيَّات البدنْ

عرقوب ([لـ][1] أبو الحسن):

معلِّمي معلِّمي أبا الحسنْ

أبو الحسن ([لـ] عرقوب):

دعني دعني اذهب عني اتركني اتركني يا عرقوبُ

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): لا أتر ...
أبو الحسن ([لـ] عرقوب):

... كفى أن تزعجني اتركني فعقلي ...

عرقوب ([لـ] أبو الحسن):

... ... مسلوب

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): لا أتركك ما لم تعمل لي وظيفة، حيث جعلتَ نفسَك في هذه الرتبة المنيفة، ألعلَّك تجعلني عوض جعفر الوزير؛ لأسعفك بحسن التدبير.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): أيوا، هذا الذي بدا لي، وتردَّد في بالي؛ لأنك هرمٌ، مدعوك من الزمان، وتليق لك هذه الرتبة بأجلى بيان، ولكن يلزمك أن تحسِّن سلوكك بين الجماعة، وتكون مواظبًا عندي على السمع والطاعة، ولا تعصِ أمري نظير بنتي سلمى الشقية، المزمعة أن ترفض الزواج بعثمان بالكلية، والحال أنَّ عثمان لا يخطبني أخته دعد، إلَّا بعد تتميم هذا الوعد.

[1] أُضيف حرف «لـ» قبل «المتحدَّث إليه» للتمييز بينه وبين «المتحدِّث» (الناشر).

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): من أين علمتَ شقاوتها، وتحقَّقتَ إزماع مخالفتها وعصاوتها؟ هل خاطبتَها فلاحظت منها دلائل عدم القبول؟

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): لا لا لا، ولكن اسمع ما أقول:

أنا بسلمى خبير أنا أبوها الشهير (١)
إن قلتُ: يا بنتي موتي تقول ذا لا يصير
فلو تكون مطيعةْ كمثل تلك الوديعةْ
لكنت أع... ما علينا اذكر لي دعد البديعةْ

* * *

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): بعده، بعده نتكلم؛ لأني أرى مصباحًا وافدًا من بعيد، أقول إن هذا أخوك سعيد؟ لا لا، هذا عثمان، وما معه أحد مصحوب، سوى أخته دعد.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): كدرتني، يا عرقوب.

ويحك إن هذه كل منيتي لأنَّ مَرْآها يُزيل همِّي
وا بهجتي يوم أناديها على رغم العِدا: يا دعد بنت عمِّي!

ها هي مقبلة مع أخيها عثمان. رُحْ أنت أعدَّ لنا المشروبات في الإيوان.

انطلق هيِّ الحميَّا واصلح الآلات (٢)
إنني ما دمتُ حيَّا عاشق الكاسات
من تعاطى منها شيَّا في الدُّجى ما مات

عرقوب ([لـ] أبو الحسن):

لكن للمُدام شرطٌ يا همام مع أهل الغرام تنشد النغمات

(عرقوب يذهب.)

الجزء الثاني

(أبو الحسن، دعد، عثمان)

الاثنان ([لـ] أبو الحسن):

يا لياليكم سعيدة.

أبو الحسن ([لـ] للاثنين):

مرحبًا أهلًا.

الاثنان ([لـ] أبو الحسن):

دم بخيراتٍ مزيدةْ زائـدًا فـضـلَا

أبو الحسن ([لـ] عثمان):

سيدي، سلمى عنيدةْ تـتـبـع الـعـدلَا

دبرت العلاج وفقًا للمزاج ترضى بالزواج، آه ما أحلاه!

أبو الحسن ([لـ] دعد): تفضلي اجلسي يا دعد، ارفعي إزارك يا فاتنة الناس.

أبو الحسن ([لـ] عثمان): وأنت أيضًا إذا أردتَ أن تجلس فلا بأس.

عثمان (لذاته): كلام، وحياتي كلام، هذا الفشار بعينه، ولكن يفرجها الله، لا بد للمديون عن وفا دينه.

أبو الحسن ([لـ] دعد): انظريني يا دعد، الليلة أنا بكل عافية، حتى أمس أيضًا كانتْ علتي بلا قافية؛ لأني ذهبت إلى فراشي حسب إرادتكم، وما كنت أشعر بوجع نظير شهادتكم.

دعد ([لـ] أبو الحسن):

أسَفي عليك لأن هذي علةٌ مخفيةٌ حسب الكتاب الخالي
من ليس يشعر بالسقام فما له غير التحفُّظ في مكانٍ خالِ
فالزم فراشك فهو خير تعالجٍ هذا روته خالتي عن خالي

عثمان ([لـ] أبو الحسن): أرني نبضك. (يجس نبضه) آه، ادخل مخدعك، خذ راحتك، الزم فراشك، احترس من البرد، دارِ صحتك.

(ويدفعه رويدًا رويدًا.)

عثمان ([لـ] دعد): مسكين، انظري، لم يزل من أمس لونه أصفر، انظري وجهه تغير.
أبو الحسن (لذاته): ما أنا فاهم شي من هذه المعاني.
أبو الحسن ([لـ] للاثنين):

(يستعد للذهاب)

عذري واضح، أرجوكما لا تؤاخذاني، البيت بيتكما، أنا ذاهب؛ لأني مشعر بوجع شديد.

دعد ([لـ] أبو الحسن): مع ذلك ارجع إذا كنتَ تريد.
أبو الحسن ([لـ] دعد): كيف؟
دعد ([لـ] أبو الحسن): كيف؟
أبو الحسن ([لـ] دعد): تدعيني لكي أرجع، لا لا لا أقدر، لا أقدر.
دعد ([لـ] أبو الحسن): المعذور لا يُجبر، الله يسعد مساك.
عثمان ([لـ] أبو الحسن): الله يسعد مساك.
دعد ([لـ] أبو الحسن): تعطينا قول.
عثمان ([لـ] أبو الحسن): إن شا الله في الغد نراك.
أبو الحسن ([لـ] دعد): أعطيك قول أني أشفى بالحال، وأعود إليكما على جناح الاستعجال.

الجزء الثالث

(أبو الحسن، عرقوب، دعد، عثمان)

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): معلمي أبو الحسن.
أبو الحسن ([لـ] عرقوب): خير إن شا الله يا عرقوب.
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): عن إذنك، مطلوب.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): مطلوب؟! أنا وحيد فريد في بغداد، لا مدين ولا مديون لأحد من العباد. توجَّه وقل لِمَن يطلبني بأني لم أزلْ مريضًا منذ أمس، ولم أقدر أن أشفى قبل شروق الشمس ... لا لا ... قل له إني غايب، وخلصني من هذه النوايب.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): أظن أنه سمع صوتك حينما لحَّنتَ، فلا يوافق العذر كما أعلنت.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): أف ... أيصدِّق صوتي ويكذِّبك أنت؟! رُحْ قل له كما تلقَّنت.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): هذا صديقك دادا محمود، الذي غمرنا بالكرم والجود.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): إذا كان وحده فمسانا مسعود، وأمَّا إذا كان معه دادا مصطفى فدونك والاثنين، وأغنانا الله عن الحالين.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن):

لو كنت تنظر ما قد أصحباه لنا من الهدايا لما أنكرتَ فضلهما
زادٌ وأشربةٌ تُهدَى إلى ملكٍ

أبو الحسن ([لـ] عرقوب):

عندي من الرأي رأيٌ مقنعٌ لهما (ويفتكر)

دعد ([لـ] عثمان): فلنسمع الرايات الرشيدة، والتدابير السديدة.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): الرأي عندي أنهما ... يتركان لنا الهدايا (متفكرًا) ويذهبان هما بحراسة باري البرايا.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): وإذا لم يقنعا بهذا الرأي الصايب؟

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): تعال معي لأريك الخبرة والعجايب (ويذهبان).

دعد (لذاتها): آه آه، ما شا الله! (ضاحكة).

الجزء الرابع

(دعد، عثمان)

عثمان ([لـ] دعد): عجبًا! سلمى أين هي الآن؟

دعد ([لـ] عثمان): لا أعلم، ولا أرى سعيدًا أيضًا بهذا المكان.

عثمان ([لـ] دعد): أظن أن سعيدًا مزمع أن يتخالَف مع أخيه؛ لأن كلًّا منهما يريد أن تتزوَّجيه، وأنا أطمعتُ أبا الحسن بنوال الآمال؛ لكي يزوِّجني بنته سلمى ذات الجمال.

(دعد تنهض غضبانة.)

دعد ([لـ] عثمان): لقد أخطأتَ بهذا التدبير؛ لأنك وعدتَه بما لا يمكن أن يصير، فأنا لا أقبل ولا أريد غير ... غير ...

عثمان ([لـ] دعد): غير سعيد، هذا القصد الوحيد، ولكن لي غاية بهذا المعنى؛ لأحصل على بنته، وبعده ننظر كيف تتدبر الأمور معنا، فإننا نضحك عليه لأنه بسيط ساذج الفؤاد، وكيفما قِيد ينقاد.

دعد ([لـ] عثمان): علي أي وجهٍ كان وقع منك الغلط، وما كان حاجة لمعاطاتك الأمور على هذا النمط.

عتبي حقًّا عليك يا أخي عثمان (٣)
حيث سلمى في يديك مثل غصنٍ لان
إنها تصبو إليك والهوى فتَّان
إن تلقَ الهلاك لا ترضى سواك فاقنع أن خَطاك
واضح البرهان

عثمان ([لـ] دعد):

هل صدقٌ هل حقٌّ حب سلمى لي؟ (٤)

دعد ([لـ] عثمان):

ذاك أكيد أما سعيد فاترٌ سالي

* * *

عثمان ([لـ] دعد):

لا تتهميه بهذا فهو قتيلٌ بحبك
فهل تظنين سلمى تحبني كمحبك؟
احكي لي عنها كلامًا يكون من كل قلبك

دعد ([لـ] عثمان): أفٍّ، ولكن لنُنهِ حديثَنا للنهاية، كمِّل لي وصْف سعيدٍ ثم احكِ ألف حكاية.

عثمان ([لـ] دعد): هو يحبك، يحبك ويموت بين يديك.

دعد ([لـ] عثمان): أتؤكِّد لي؟

عثمان ([لـ] دعد): هكذا وحياةِ عينيك، غير أنه هو لا يُظهر غرامه، بل إنه من حسن أخلاقه يخفي هيامه، فهو شاب ذو أطباعٍ حميدة، ومن جملة خصاله الفريدة، أنه ...

الجزء الخامس

(دعد، عثمان، أبو الحسن)

أبو الحسن (لذاته): أودعتُهما في القاعة، وقلتُ لهما إني أغيب ربع ساعة. والحال أني لا أتزعزع من هنا، ما دامتْ عندي دعد مجلبة الشفا والهنا؛ لأنني إذْ وعدتها أن أشفى من المرض، فبالحال ظهر وجعي الخفي وتأكدت أنه عرض. وبناءً عليه رجعتُ لأتمِّم مع دعد الصفا، فقط أخاف من دادا مصطفى، ليلًّا يعرف هذا الخفا، ويعنفنا بسحره؛ لأنه ساحر مريد، وعفريتٌ شديد، آهٍ! عسى أن يكون تعلُّقه بي ليكتسب بواسطتي عزًّا، ويكشف على وجهي كنزًا ... وا طرَباه! أني أدخل هذا الكنز فأجد فيه من أحمال الذهب سبعة، فأطمع أنا عليه وآخذ منها ثلاثة، ولا أترك له غير تسعة، آهٍ! حقًّا طالِعي سعيد، وتدبيري حسن.

دعد ([لـ] أبو الحسن): مَن هو هذا يا أبا الحسن؟

أبو الحسن ([لـ] دعد): هذا أنا يا دعد، صاحب القسم الأكبر، ومالك ... ومالك الشاني الأبتر.

دعد ([لـ] أبو الحسن): هذا أنا يا دعد، ما هو معنى هذا الكلام؟ لعلَّك انجذبت من مغناطيس الأحلام؟! أنا سألتُك: مَن هذا؟ أعني مَن جاء بطلبك؟ ولماذا؟

مَـن ذاك وافـاك مَـن تـرى زارا؟ هل ضيف؟ (٥)

أبو الحسن ([لـ] دعد):

بــل طــيــفُ في الهوا طارا

* * *

دعد ([لـ] أبو الحسن): صدقت بذلك ... فأخبرني إذن عن غير شيء، ولا تكتم عني هذا السر بحيات عينيَّ. قد ذكرتَ أنك مالك الشاني الأبتر، فما معنى هذا القول الأنور؟

أبو الحسن ([لـ] دعد): اعلمي أنَّ الشاني الأبتر هو سيف مضارب، كان يتقلَّده الإمام علي ابن عم ... خال ... حمي أخي أبا طالب.

(دعد تنظر الخليفة وجعفر فتذهب فيلتفت أبو الحسن ويتبعها قليلًا باكيًا على فراقها.)

الجزء السادس

(عثمان، أبو الحسن، الخليفة، جعفر)

خليفة ([لـ] أبو الحسن):

الليلُ جنَّا فالقلب حنَّا بادر كي نجلي أقداحَا (٦)

أبو الحسن ([لـ] خليفة):

رُح امضِ عنَّا
أمرٌ عظيم فعلٌ ذميمُ تأتي من غير استئذاني
عندي حريمُ

(يشعر بقدوم جعفر الذي يكون ورا الخليفة.)

أبو الحسن ([لـ] جعفر): أهلًا وسهلًا

أبو الحسن ([لـ] خليفة):

لا بأس أصلًا ادخل لم يوجد تكليف

أبو الحسن (لذاته):

لا حول إلَّا

أبو الحسن ([لـ] للاثنين):

فتقدَّما يا صاحبان شرفتما هذا المكان (٧)

الاثنان (لذاتهما):

إنـــا ضـــيـــوف زايـــرون وإلى الْمُضيف لتابعون (ويتقدمان)

أبو الحسن وعثمان (لذاتهما):

إن الدراويش الكرام أرباب طُهْرٍ واحتشام
أكرم بهم فرعًا أصيل ما منهمُ إلَّا فضيل

أبو الحسن ([لـ] عثمان):

لا ينبغي، إنَّ الحريم يخجلن من فرعٍ كريم
فادخل وقصَّ لها العِلَل وارجع بدعدٍ بالعجل

* * *

عثمان (لذاته): ساعة مباركة، اخلفنا ذا القرنين.
أبو الحسن ([لـ] عثمان): ماذا تقول؟
عثمان ([لـ] أبو الحسن): قلت على الراس والعين.

الجزء السابع

(أبو الحسن، الخليفة، جعفر)

أبو الحسن ([لـ] جعفر): بالحقيقة يا دادا محمود، إنَّ حبكما في قلبي موجود، فقط رفيقك في تلك الليلة، أوقع الفتنة بيني وبين العيلة، حتى طلقتُ امرأتي، وعدمت لذَّاتي، فأرجوك يا دادا مصطفى، يا سيد الظرفا ...

خليفة ([لـ] أبو الحسن): كن مطمئنًّا، لا بد لي أن أصلح ما انعكس عليك. وإنْ شئتَ أرجع امرأتَكَ إليك.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): لا تكلِّف خاطرك؛ فلم يَبْقَ لي مرام بترجيعها إليَّ، بل أرجوك أن تُسْعِفني وتساعدني لكي ...

الجزء الثامن

(أبو الحسن، الخليفة، جعفر، دعد، عثمان)

أبو الحسن ([لـ] للاثنين): أما قلت لكما إن عيلتي وعيلة عثمان، هما عيلتان متفقتان؟ (ويتوشوش معهما.)

دعد ([لـ] عثمان): تأمَّل هذه الحركات العجيبة، والإشارات الغريبة.

أبو الحسن ([لـ] للاثنين): ولم يوجد بيننا تكليف، وأنتما لكونكما من الدراويش ذوي أصلٍ شريف، فلا ...

جعفر ([لـ] أبو الحسن): فلا ينبغي الاحتجاب عنكما.

أبو الحسن ([لـ] للاثنين): فلا ينبغي الاحتجاب عنكما، ولا ... ولا ... (ويلتمس من جعفر المساعدة).

جعفر ([لـ] أبو الحسن): ولا ينبغي الانقباض منكما.

أبو الحسن ([لـ] للاثنين): ولا ينبغي الـ... الانقباض منكما؛ لأنكما معدن الجود والكرم، ونفتخر بهداياكم على العرب والعجم.

خليفة ([لـ] دعد): حقيقة يا ... ما الاسم الكريم؟

دعد ([لـ] خليفة): عبدتك دعد.

خليفة ([لـ] دعد): ما شا الله الرحمن الرحيم! حقيقةً يا دعد إن أبا الحسن مستقيم، نظرًا لاتحاده مع عيلتكم ودخول الرجال على الحريم، فهو بهذا الشأن صاحب الفضل.

أبو الحسن ([لـ] جعفر): قد تكلَّم الآن بالصواب والعدل (ويُقبل يد الخليفة).

دعد (لذاتها): عجبًا! ما هي نتيجة هذا الخطاب؟

أبو الحسن ([لـ] دعد): اسمعي له، اسمعي له، ولا يكون جوابك إلَّا بالإيجاب.

خليفة ([لـ] دعد): وذلك لأنه يُظهِر بنته على أخيك وهو شاب، فعن ذلك يجب له الشكر لجملة أسباب.

أبو الحسن ([لـ] جعفر): حقًّا، اصطلح حال رفيقك.

جعفر ([لـ] أبو الحسن): يقول المثل: «إن صديقك، مَن كان صديق صديقك»، فهو صار يحبك لمحبتي، ويودك لمودتي.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): كمِّل كمِّل كمِّل كلامك، رفع الله مقامك.

خليفة ([لـ] دعد): وأما أنتِ ظهورك عليه وانجلاكِ علينا وبرزكِ لديه (أبو الحسن يرفع يده عن لحيته) فهذا الأمر غير عجيب، ومن كل خطرٍ مأمون؛ لأننا كلنا جماعة كهول مسنُّون.

أبو الحسن (لذاته): يا ربي! رجِّع إليَّ نفث العبارات السمِّيَّة. أخاف أن دعد تصدق بهذه التهمة القوية.

جعفر ([لـ] خليفة): إنَّك ظلمتَ صاحبنا بهذا الاتهام، نعم، نحن ناهزنا الأربعين، ولكن هو لم يتجاوز ثلاثين عام.

أبو الحسن ([لـ] جعفر): حياك الله يا دادا محمود المعتبر.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): هكذا فلتكن أصحاب النظر (مشيرًا عن جعفر).

خليفة ([لـ] جعفر): ثلاثين عام! أمَا تنظر تغيير سحنته، والشيب الذي وَخَطَ لحيته؟ (ويتأمل لحية أبي الحسن.)

أبو الحسن ([لـ] جعفر): يكفي يا مصطفى استعمالك المزاح، فقد ضيقت الأبصار في الأرواح، دعني أكمل لدعد حديثًا كنتُ بدأتُ به قبل وصولك، وانقطع حين دخولك.

الثلاثة ([لـ] أبو الحسن):

كمِّل لها حكايتك وارْوِ لها روايتك (٨)

* * *

أبو الحسن ([لـ] دعد): أين أودعنا الحديث، قبل دخول هذا الشيخ الحدِّيث ...؟ ما قلنا إن الشاني الأبتر ... هو سيف علي الإمام، الذي قتل به عنتر، عليه السلام؟

خليفة (لذاته): عنتر عليه السلام!

خليفة ([لـ] أبو الحسن): نعم نعم نعم، ما أحد أخبرنا عن ذلك من الأمم، بل إن عليًّا لم يعرف عنتر ولم يكن في أجياله.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): نعم، ولكن ...

جعفر ([لـ] أبو الحسن): ولكنه قتل غير عنتر من أمثاله.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): ولكنه قتل غير عنتر من أمثاله؛ مثل ... مثل ...

(ويلتمس من جعفر المساعدة.)

دعد ([لـ] عثمان): إن محمودًا لأبي الحسن محب واثق.

عثمان ([لـ] دعد): وصديق صادق.

جعفر ([لـ] أبو الحسن): مثل عمر بن ودٍّ العامري.
أبو الحسن ([لـ] خليفة): مثل عمر ابن المعماري، ومثل ...
جعفر ([لـ] أبو الحسن): سبيع الملقَّب بذي الخمار.
أبو الحسن ([لـ] خليفة): ومثل السبع المعرقب بذي الحمار، ومثل ...
جعفر ([لـ] أبو الحسن): لم يخطر على بالي.
أبو الحسن ([لـ] خليفة): ومثل لم يخطر على بالي، صاحب القدر العالي، ومثل ... أودعتكم الله، البيت بيتي وتركت لكم إياه.

(ويهم أن يخرج خارجًا.)

خليفة ([لـ] أبو الحسن): إلى أين ذاهب يا فقيه؟ (ماسكًا ومرجعًا إياه.)
أبو الحسن ([لـ] خليفة): إلى محلٍّ لا توجد أنت فيه.
عثمان ([لـ] أبو الحسن): ارجع بحياتي عليك، فأنت ملزوم أن تحمل ضيوفك على عاتقيك (يرجع).
أبو الحسن ([لـ] خليفة): اسمع ... أنت طلبتَ مني حين دخولك لهذا المقام، أن أذهب بصحبتك لنَتَعاطى الْمُدام، فلنتوجَّه الآن الآن، واسمع مني غرايب الألحان.
خليفة ([لـ] أبو الحسن):

إن لم تشأْ تجلس هنا رح سر وحدك بالهنا (٩)
فأنا رضيت بذا المقام هذا مرادي والسلام

(أبو الحسن بهذه المرة يشير إلى دعد عن الخليفة أنه ثقيل.)

أبو الحسن ([لـ] خليفة): دع هذا الكلام ولا تكن شيخًا عنيفا (١٠)
انطلق معي واسمع من فمي نشدًا عفيفا.
النحو دوكاه، والصرف سيكاه، ثم النوى الأجوف،
والرصد اللفيفا. بادر بادر نذهب.
جعفر ([لـ] خليفة):

شنف مسمعك

جعفر ([لـ] أبو الحسن):

الحق معك، امضِ لنطرب

الجزء التاسع

(دعد، عثمان)

عثمان ([لـ] دعد): أتعرفين يا دعد أنَّ أبا الحسن وجد فرصةً عظيمة، وإنْ دام تعلُّق هذين الدرويشين فيه تعود عليه نعمته القديمة؛ لأنهما مرتضيان بسذاجته وعاشقان صوته، وقد أملآ من الخيرات بيته.

دعد ([لـ] عثمان): ماذا تنفعه الخيرات والكرامات، فيعود كالأول ينفقها على اللهو والتنزهات، فلا تظن بذلك أني أمدح البخل، بل أعترف أنه مذموم وقبيح، غير أن الكرم أيضًا إذا كان بدون ترتيب فليس هو مليح، وهل تصرُّف أبي الحسن هو من باب الكرم؟ لا لعمري، بل هو من باب إزالة النِّعَم.

فهو قد أفنى كلَّ إرْثِ أبيه مسرفًا مالَه ومالَ أخيه
والذي قد أبقاه طه وصيُّ الـ ـمال قد أفناه على الترفيه
والمراءون إذْ رأَوْه غبيًّا صاحَبوه وأمُّه تَنْهيه
سلبوا مالَه وما منهم الآن صديقًا نراه يعبأ فيه
إن الغنى لمثله لا يصلحُ لأنه مغفَّلُ (١١)
أما أخوه بارحٌ ومفلحُ له الغنى يوهلُ
فهو كريمٌ خلقةً لكنه مصرفٌ بفطنةِ

دعد وعثمان (لذاتهما):

كذا جديرٌ للكريم أنَّهُ يفي السخا بالحكمةِ

* * *

(يُسمَع غِنا وَرَا المرسح.)

دعد ([لـ] عثمان): اسمع الألحان، اسمع ضرب العيدان.

عثمان ([لـ] دعد): هذا ما هو شي بالنسبة إلى السيران المزمع أن يكون.

دعد ([لـ] عثمان): ما هو السيران؟ وأي متى إليه يذهبون؟

عثمان ([لـ] دعد): آه، هذا سيران ذو قدرٍ وثمن، معد من الدراويش على الدجلة إلى أبي الحسن، سيتوجَّهون إليه في الغد صباح الإثنين، ويقومون هناك يومين.

دعد ([لـ] عثمان): فإذن ستخلو لنا الديار، وفي الغد نخلع نحن وأصحابنا الأستار.
عثمان ([لـ] دعد): والحاجَّة أم أبي الحسن إنْ وصلتْ من الحج نهار غدًا؟
دعد ([لـ] عثمان): آه، يضيع أملنا سدى، ولكنني أنا فهمت جيدًا من عرقوب، بأنها لا تصل إلَّا بعد غدا، يوم الثلاثا بعد الغروب.

الجزء العاشر

(دعد، عثمان، عرقوب)

عرقوب ([لـ] عثمان):

رأيي أن تسير بسرعةٍ يا سيدي عثمان (١٢)
إذْ معلِّمي بعد برهةٍ يـرجـع سـكـران

الاثنان ([لـ] عرقوب):

هـذا الـصـحـيـح رأيٌ مليح (ويتأهبان للذهاب)

لكن بعهدٍ أن يزورنا الحبيبان.
عرقوب ([لـ] للاثنين):

اذهـبـا اذهـبـا حضِّرا المشربا (١٣)
إذ يـقـر الـقـرار نـلـتـقـي كـلـنـا

الاثنان ([لـ] لعرقوب):

نحن في الانتظار كي ننال المنى

عرقوب ([لـ] للاثنين): هذا شغلي أنا.

الجزء الحادي عشر

(عرقوب)

عرقوب (لذاته): يا ترى مَن منا يضحك على رفيقه أكثر؟! أظنني أنا الرابح عليهم من الأصغر إلى الأكبر؛ لأنني أُساير الجميع كل واحد على مرامه، وأتنعَّم بعطاياه وإنعامه،

وحينما يطربون أطرب معهم، وحيثما يذهبون أكن متبعهم ... لازم أن أقابل سعيد وسلمى؛ لأخبرهما بما حصل بهذه البرهة، لكي أنال منهما ... (مشيرًا عن الدراهم) ها هي معلمتي سلمى بغير شبهة، ها هو معلمي سعيد كلٌّ منهما آتٍ من جهة.

الجزء الثاني عشر

(عرقوب، سلمى، سعيد)

عرقوب ([لـ] الاثنين):

أتيتما وقت اللزوم فعنـ ـدي خبرٌ أقوله لكما
إن تسمعاه تطربا طربًا لا شك أنه يسرُّكما
لكن هنا الوقت مضايقنا لم نستطع أن نسهب الكلما

عرقوب ([لـ] سعيد): فأخوك سكران، وبعد قليل للمجي هنا له نية، فلنخلِ هذا الحوش في عجلٍ، ولنفرد جوا بحرية.

سعيد ([لـ] عرقوب): اسبقنا قليلًا يا عرقوب، سنأتيك حسب المرغوب؛ لأن لي شغلًا مع بنت أخي مقدار ربع ساعة.

عرقوب ([لـ] سعيد): السمع والطاعة.

سلمى ([لـ] عرقوب): أنت شيخ الصلاح، أنت مربِّي الجميع، بهذا القدر كفاية، وإن شاء الله تعبك لا يضيع.

(يذهب عرقوب.)

الجزء الرابع عشر

(سلمى، سعيد)

سعيد ([لـ] سلمى): سلمى أتحفظين السِّرَّ؛ لأطلِعَكِ على سِرِّي؟

سلمي ([لـ] سعيد): عندي بير عميقة، اشكي لي أمرك؛ لأشكي لك أمري.

سعيد ([لـ] سلمى): لا أخفي عنك، أنا لي أربٌ وغرام.

(يُسمع صوت غنا من داخل ثم يُسمع صوت أبي الحسن وحده قريب من باب المدخل.)

ها هو أخي آتٍ، فما بقِي معنا وقت لتتميم الكلام، أرجوك أن تتركيني معه قليلًا؛ فلي بذلك مرام.

سلمى سعيد: لا بأس يا عمي لا بأس (وتستعد للذهاب) ولكن اذكر أن الناس للناس، فلا تنسني وأنت ربما تعلم بما عندي من الغصة.

سعيد ([لـ] سلمى): أعلم جيدًا، فلا بد أن أساعدك متى سمحت الفرصة.

الجزء الخامس عشر

(سعيد، أبو الحسن)

أبو الحسن (لذاته):

ما لعيني أبصرتْ أرضنا قد أقفرتْ (١٤)
وغدا ظبيي بعيد

أبو الحسن ([لـ] سعيد):

أين دعدٌ يا سعيد؟

سعيد ([لـ] أبو الحسن):

حينما جئتُ هنا لم أجد إلَّا ... أنا

أبو الحسن (لذاته):

عاملتْني بالجفا كلُّه من مصطفى

أبو الحسن ([لـ] سعيد): أخبرني يا أخي على الحقيقة، أمَا نظرت دعد الرشيقة؟

سعيد ([لـ] أبو الحسن): نعم، نظرتُها حين توجهتُ إلى بيتهم في هذا الصباح، وهي بكل خيرٍ وانشراح.

أبو الحسن (لذاته): ولقد تُباح لك الأسرار، من غير سؤال ولا استخبار.

أبو الحسن ([لـ] سعيد): هل تعرف جيدًا موضعهم؟

سعيد ([لـ] أبو الحسن): ولي محبة عظيمة معهم.

أبو الحسن (لذاته): يا لطيف.

أبو الحسن ([لـ] سعيد): هل تُكثر لبيتهم الترداد؟

سعيد ([لـ] أبو الحسن): مراتٍ ما لها تعداد.
أبو الحسن (لذاته): يا لطيف! لازم مداركة العيب قبلما يزيد.
أبو الحسن ([لـ] سعيد): اسمع يا أخي سعيد، أنا أريد أن أتكلم معك عن قضية.
سعيد ([لـ] أبو الحسن): وأنا أيضًا أريد أن أستأذنك عن مادة جوهرية.
أبو الحسن ([لـ] سعيد): قل ما بدا لك.
سعيد ([لـ] أبو الحسن): لا لا، أوضح أنت قبلًا مقالك.
أبو الحسن ([لـ] سعيد): أنا كان لي قصد، أن أسألك عن دعد، كيف نظرتَ محيَّاها؟
سعيد (لذاته): وا سروري! مراده أن يخطب لي إياها.
سعيد ([لـ] أبو الحسن): وأنت كيف نظرته يا أخي أبا الحسن؟
أبو الحسن ([لـ] سعيد): أنا نظرتُ محيَّاها كله حُسْن ... الحق معك لا يوجد مثلها في هذا الزمن، خالية من العيب ... ما بذلك ريب، وجهها مليح، فهمت، فهمت صحيح، عمرها مديد، معلوم أكيد، عدوها هالك، صدقت بذلك.

عيناها مثل اللآلي والعنق قطعة مسكِ (١٥)
وجسمها كالخيالِ والوجه فرمان تركي
جبينها مثل منبر والشعر ريش نعامِ
وخدها لوح مرمر والقد مثل الحسامِ

* * *

(سعيد بأثناء إنشاد أبي الحسن يستهجن هذه التشبيهات الباردة ويستهزئ به.)

والحاصل نصفها كمال، وثلثها الباقي جمال.
سعيد (لذاته): مضبوط.
أبو الحسن ([لـ] سعيد): شريفة مرتبة عظيمة، وهي أحسن جدًّا من امرأتي القديمة، فاصغ يا أخي لما أقول، ولا تكون بالجواب عجول، فأنا بالحقيقة أُدعَى باسم أخيك، ولكنني ربَّيْتُك عوض أبيك.
سعيد (لذاته): نعم نعم، نعم التربية التي ربيتنيها، ما كلفتني غير ضياع متروكات أبي على بكرة أبيها.

أبو الحسن ([لـ] سعيد): وها أنت لحد الآن عايش في خيري، ومستغنٍ عن كل أحدٍ غيري، فأريد أن لا تخالفني بما صوبتُ فكري إليه.

سعيد (لذاته): ينبغي أن أتمنَّع وأتدلَّل قليلًا عليه.

سعيد ([لـ] أبو الحسن): أنت يا أخي تأمر على كل شيء، ما عدا الزواج لا تعرضه عليَّ.

أبو الحسن ([لـ] سعيد): آه يا خبيث! لا بقي لك وريث، هل كلامي على سبيل الاستيذان؛ كي تجيبني بغير ميزان؟ لا لعمري، بل على نوع التخبير؛ لأني أنا أخوك الكبير، وأنت بكل وقت لأمري أسير.

سعيد (لذاته): صح الصحيح وأقبل السعد؛ لأن أخي قصده جازم على تأهيلي بدعد.

سعيد ([لـ] أبو الحسن): يا أخي ...

أبو الحسن ([لـ] سعيد): اذهب من قدامي (مغضبًا).

سعيد ([لـ] أبو الحسن): يا أبا الحسن.

أبو الحسن ([لـ] سعيد): لا تدنُ مني، ولا تقِفْ أمامي.

سعيد ([لـ] أبو الحسن): سامحني عما افتريتُ به عليك، وأْمر بالذي يحسن لديك.

أبو الحسن ([لـ] سعيد): هكذا كان الواجب أن تجيبني من البداية، ولا تعترضني على قصدي بهذه الغاية؛ لأن المثل السابر ينادي على روس الأعلام، لا رهبانية في الإسلام، ومعلومك أن أخاك هذا المسكين قد تطلَّق من امرأته، وهو لم يزل شابًّا، فهل يعيش راهبًا بقية حياته؟

سعيد ([لـ] أبو الحسن): وبعده، هذه النتيجة يجب لها الاستغراب؛ لأنها لا توافق بداية الخطاب.

أبو الحسن ([لـ] سعيد): كيف ... أتتعجَّب لقصدي على التأهيل بدعد، كما تتعجَّب من البرق قبل الرعد؟

سعيد ([لـ] أبو الحسن): على التأهيل بدعد؟ دعد! دعد! مَن يتزوجها؟ ... أ ... أنت ... أ ... أنت؟! (مغضبًا.)

أبو الحسن ([لـ] سعيد): نعم، أ ... أنا، أ ... أنا، لعلَّك ما استحسنت (مستهزيًا).

سعيد ([لـ] أبو الحسن): عن إذنك، لا تُطمِع نفسك بالمُحال؛ فهذه البنت نصيبي بلا قيل وقال.

أبو الحسن ([لـ] سعيد): فشرت يا سلحفة ملسا، وخنفسة فطسا، وضفدعة خرسا، بل هي عروسي، وفي مرآها أجلي بئوسي، قسمًا بأعضا مكة والحطيم، لئن لم تنتهِ لنصفعنَّ بوجهك الوخيم.

سعيد ([لـ] أبو الحسن): قل كما تشتهي وتريد، فأنا عن قصدي لا أحيد، كله عندي سوا، وكلامك مثل الهوا.

أبو الحسن ([لـ] سعيد): اخرس يا تعيس، يا ضرطة إبليس (ويتقابضان متخاصمَين).

الجزء السادس عشر

(سعيد، أبو الحسن، الخليفة)

خليفة ([لـ] للاثنين):

يـكفـاكمـا يـكفـاكمـا أقلقتما أحشاكما (١٦)
هـذا جـنـونٌ واضـحُ بل هذا شيءٌ فاضحُ

(ويفرقهما عن بعضهما جملة مرار، أخيرًا يجلس كل واحد بجهة بعيدين عن بعضهما.)

أبو الحسن (لذاته): هذا الدرويش يتحرش لكل الأشياء، الآن يطبق علينا الدنيا.

خليفة ([لـ] للاثنين): اقصصا عليَّ سبب هذا الاختلاف؛ لأحكم بينكما بالإنصاف.

خليفة ([لـ] سعيد): أنت رُحْ إلى تلك الناحية، يا قليل الأدب وعديم النظر؛ لأسمع من أبي الحسن الصادق حقيقة الخبر.

(ويغمزه واضعًا إصبعه على شفتيه.)

أبو الحسن (لذاته): لا شك أن العيش والخمر قد أصلحا أحواله، وغيَّرا إلى اللطف أثقاله.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): افهم قصتي وأرعني سمعك.

خليفة ([لـ] أبو الحسن): لا تقدر أن تكون مذنبًا، الحق معك.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): إن أخي هذا العديم الوفا، مراده أن يزاحمني على دعد يا دادا مصطفى، مع أن ...

خليفة ([لـ] أبو الحسن): فهمتُ فهمتُ، كفى كفى، حقًّا هذه من أخيك مجاسرة كلية، فأنت اثبتْ على عزمك وعليَّ تدبير القضية، آه، كان مستاهلًا منك سحق الراس، وتخميد الأنفاس، ولكنك (هذه العبارة يقولها بصوت منخفض كأنه يُخفيها عن سعيد)(وها هنا يرفع صوته):

أنت طويل البال خالٍ من البلبال
سامحته في الحال
قلبك صافي كالزلال لا زلتَ ممدوح الفعال (١٧)
سامحته عن جهله هذه شئون ابن الحلال

* * *

(يخفض صوته):

ها إنني ساعٍ إلى التنبيهِ له وعن ضلالِه أنهيهِ
أودُّ أن يُطِيعني وإنْ عصى دونك إياه بهذه العصا

أبو الحسن ([لـ] خليفة): إن هذا الولد ذو طباعٍ ردية، فأوصيك بمداركته توصية كلية، وإن لزم الأمر لأعطاه هدية، بناء أن يترك لي دعد البهية، فأوعده عني بعقدٍ ذي قيمةٍ وفية، وبالنتيجة على أي وجهٍ كان أرجوك نهي هذه القضية.

خليفة ([لـ] أبو الحسن): لا تفتكر، ابقَ مكانك، واحسب أنها مقضية.

(ثم ينتقل لجهة سعيد.)

أبو الحسن (لذاته): بارك الله فيك، وتمَّم حُسْن مساعيك.

خليفة ([لـ] سعيد): أفٍّ أفٍّ، ما هذا الطبع الذي له؟ وكيف أمكنك أن تحتمله؟ (بصوت منخفض كأنه يُخفِي الكلام عن أبي الحسن.)

سعيد ([لـ] خليفة): أفهمتَ القصة جيدًا؟ أم تريد أن أعرضها بين يديك؟

خليفة ([لـ] سعيد): فهمتُها فهمتُها، أنا حين دخولي كنتُ أظن الحق عليك، فانتهرتُ فيك كأنك مفتري، ولكنني الآن تأكدتُ أنه هو المذنب وأنت البري، ولقد كان باقيًا على

عناده، غير أني بعد الجهد غيَّرتُه عن اعتماده، ولأجل تمكينه على وعده لي قد مدحتُ حسن فعايله، وأنشدتُ له شعرًا ولو كان غير مستاهله.

سعيد ([لـ] خليفة): سمعتُك تشكره لمسامحته لي، ولاحظتُ عنايتك من حركاتك، فلا أحرمني الله مزيد هماتك.

أبو الحسن (لذاته): الله يعطيك يد المعونة على هذا الولد الفاجر.

خليفة ([لـ] سعيد): فليطِب منك الخاطر، وليقر منك الناظر؛ لأنه وعدني أن يترك لك دعد إن قدمتَ له الطاعة، فاضحَكْ عليه، ولا تبهدله كما فعلت تلك الساعة.

(رافعًا صوته ليسمع أبو الحسن):

ليس بدعًا أن كنتَ ترجو رضاه ... باحتشامٍ وطاعةٍ بالأحرى
واجبٌ أن يطاع منك لعمري ... كونه أوفى منك عُمْرًا وقدرًا
هذا أخوك الأكبرُ ... هذا الشهير الأشهرُ (١٨)
إنَّ له التقدُّمَا ... وواجبٌ أن يُكرَمَا

أبو الحسن (لذاته): كلام مثل الدُّرِّ والألماس، طيَّب الله هذه الأنفاس.

خليفة ([لـ] سعيد) (خافضًا صوته): اضحك عليه وسايره، وقدِّم له الاعتبار؛ لأنه أخيرًا قال لي إن قدَّمتَ لي الخضوع والوقار، فليس أنه يسامحك عمَّا فرط، ويترك لك دعد فقط، بل إنه ...

لقد صاغ عقدًا مثمنًا لامرأته (رافعًا صوته)

وأبقاه من بعد الطلاق لغيرها
فيعطيك إياه إذا جئتَ طائعًا
وبُسْتَ يدًا جادتْ عليك بخيرها

أبو الحسن (لذاته): ما هذا الكلام؟ هذا متعلم العروض من خالتي عن خالي.

سعيد ([لـ] خليفة): لك عليَّ أن أقدِّم له الإكرام العالي، كما يتوجَّب على العبيد إلى الموالي، وأسقط له حقي عن الشريعة التي كنتُ مُزْمِعًا أن أُقِيمها ضدَّه. آه لو تعلم مقدار ما كلَّفتْني إقامتي عنده، يكفي بأن تعرف بأنَّه لم يُبْقِ لنا من متروكات أبي سوى هذه الدار التي تراها، ولولا سداد عوزنا بهذه المدة من إنعاماتك لكنا بعناها، وكله من تغفُّل

أخي؛ لأنَّ المرحوم والدي قبل توفِّيه لملاحظته أني كنتُ صبي، وأن أخي معتوهٌ لا يعرف الحي من الي، فأقام علينا وصيًّا الإمام طه، فخان حقوق وظيفته الشريفة وتعدَّاها، وصار هذا من جهة وذاك من جهة ينفقان من الحواضر، ومعلومك أن الذي لا تتعب به الأيادي لا تحزن عليه الخواطر، فأصبحنا كما ترى معدومين المال والأحبة، وأمي الحاجَّة من قهرها قصدت الحج الشريف وربما تموت في الغربة (ويتكي ليبكي).

خليفة ([لـ] سعيد): لا تفتكر من نحو الحاجَّة، ولا يستحوذ عليك الحزن والأسى؛ لأنني تحقَّقتُ جيدًا بأنها تأتي بعد غد، يوم الثلاثا المسا.

أبو الحسن (لذاته): طالتِ الجلسة … إنْ أبطأ رسولُك استبشر بالفرج القريب، فيها خير إن شاء السميع المجيب.

سعيد ([لـ] خليفة): صدقت إنَّ ميعاد وصولها بعد غد في العشية، ولكنها مريضة في حُمَّى قوية، فربما …

خليفة ([لـ] سعيد): ما لنا وهذا الكلام، فهو بغير فايدة؟ واللازم أن أعود إلى أخيك لأتمِّم معه المعاهدة.

أبو الحسن (لذاته): لا يوجد عايق من صوبي، ها هو ذا العقد في جيبي.

خليفة ([لـ] سعيد) (خافضًا صوته): والرأي عندي إذا عاد أخلف في عهده، ورجع إلى شوم زعمه وقصده، أنك تُشهِر له العصا كما يستحق؛ لأنه هو المحقوق وأنت المحق، وليس السلطة للأخ الأكبر على الأصغر، إلا نظرًا لحقوق الطبيعة، لا نظرًا لحقوق الشريعة.

سعيد ([لـ] خليفة): آه، حينئذٍ يصير الشغل شغلي، وتنظر وقتئذٍ فعلي؛ لأنه دايمًا يحتقرني، ولا أراه نحوي غير غضبان، فقلبي منه ملآن.

خليفة ([لـ] سعيد): اصبر قليلًا غير مأمور؛ لأنظر كيف تنتهي الأمور.

(وينتقل نحو أبي الحسن.)

سعيد (لذاته): الله يعطيك العافية، ويديمك على هذه النية الصافية.

خليفة ([لـ] أبو الحسن) (خافضًا صوته): أبا الحسن، حقًّا لم أرَ أخاك كما قلتَ عنه، بل رأيتُه ندمان على ما فرط منه، وقد وعدني بأنه ليس يترك لك دعد فقط، بل إنه يطلب منك السماح عن الغلط، وما ذلك إلَّا بسبب ما قلتُ له من الكلام الفعَّال.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): قد سمعتُ بعضه، فلا عَدِمْتُك يا سيد الأبطال.

خليفة ([لـ] أبو الحسن): والحاصل الآن قد نهينا الجدال.

سـيـأتـيـك نـدمـانًـا ولـلـعـفـو طـالـبًـا
فهيِّ له عقدًا عليه جرى العقد (ويتوشوشان)

أبو الحسن ([لـ] خليفة): العقد معي لا يفارقني دقيقة؛ لأني لا أملك سواه، وكنتُ أعدُّه إلى يوم الضيقة.

سعيد (لذاته): ما هذا الدرويش؟ ... هذا سند متين، هذا كنزٌ ثمين.

خليفة ([لـ] للاثنين):

لـم يَـبْـقَ شـيءٌ مـانـعٌ فـتـقـدَّمـا لبعضكما وليَجْرِ بينكما العهد (ويذهب)

الجزء السابع عشر

(سعيد، أبو الحسن)

سعيد ([لـ] أبو الحسن): أنا لستُ أخاك بل عبدك، فأرجوك أن تسامحني وتقبلني كخادم عندك.

أبو الحسن ([لـ] سعيد): لبيك يا أخي لبيك، هو ذا العقد بين يديك.

سعيد ([لـ] أبو الحسن): اعطني يدَك لكي أقبِّلها، (ويتناول العقد) وأضعها على رأسي وأبجِّلها.

أبو الحسن ([لـ] سعيد): أنت أخي وشقيقي، (ويعانقه عوض أعطاه يده) وعوني عند ضيقي.

سعيد (لذاته) (يستعد للخروج): بالحقيقة هذا العقد، لا يصلح إلا لعروستي دعد.

الجزء الثامن عشر

(أبو الحسن)

أبو الحسن (لذاته): حقًّا هذا الدرويش عاد اصطلح، فالآن صدري قد انشرح؛ لأن أخي قنع متبرطلًا بالعقد الدني، وتركني أن أمضي مع دعد عيشًا هني، فما بقي مانع لتأهيلي بها سوى أن أستحضر بنتي سلمى، وأخاطبها على الزواج بعثمان حتمًا. (بصوت عال) سلمى، سلمى. (سلمى تجيبه من داخل: نعم)، احضري لأخاطبك بكلام وجيز، وهو عندي أمر معتبر وعزيز.

الجزء التاسع عشر

(أبو الحسن، سلمى)

سلمى ([لـ] أبو الحسن):

اؤمر فأنا طوع الأمرِ (١٩)

أبو الحسن ([لـ] سلمى):

قد جال كلامٌ في فكري
وأخاف بألَّا يعجبكِ

سلمى ([لـ] أبو الحسن):

ويلي، يا ويلي، يا قهري

* * *

أبو الحسن ([لـ] سلمى): قد عولت على أن ترفضي طلبي، وتخرقي في بغداد حسبي ونسبي.

سلمى ([لـ] أبو الحسن): أي متى خالفتك يا أبي؟

أبو الحسن ([لـ] سلمى): نعم، إني لم أزل ما خاطبتكِ عن هذا المشكل. ولكنني من جودة فراستي قد علمتُ بالمستقبل، فأنا مؤكد بأنك سترفضين الذي لاح في ذهني، وتخالفيني إن أعلنتُه لك بعدما كان مكتومًا في بطني، فألطُمُ وجهي، وأنتِفُ ذَقْني، وأقطع خمسي، وأضرب نفسي.

سلمى ([لـ] أبو الحسن): رويدًا رويدًا، أشفِق على حالك، واحكِ لي ما جال في بالك، وأكِّد أنَّ كل ما تأمر به فهو مقبولي، ولو ...

أبو الحسن ([لـ] سلمى): ولو كان على تزويجي بعثمان الشمولي، قولي مقبولي، قولي قولي هذه اللفظة.

سلمى (لذاتها): عثمان!

أبو الحسن (لذاته): أنا خايف من أطباعها الفظة.

سلمى (لذاتها): هل هذا منام أم يقظة؟!

سلمى ([لـ] أبو الحسن):

مقبولي مقبولي أقبل (٢٠)

أبو الحسن ([لـ] سلمى):

وأنا عن رأيي لا أنزل
لا أرضى هذا كليًّا يا بنت الملعون الأرزل

* * *

يا فاجرة، أنا ما كان قصدي بذلك، إلَّا لأعلم حقيقة أحوالك؟ فالآن علمتُ أنك عاشقة، وأن مزاياك غير موافقة، هكذا تقبلين بالزواج من أول لفظة، ولا تتركيني أن أتلو عليك سبعين ستين وعظة، وا قهراه! وا قهراه! يا شقوتي! وا لهفاه! وا لهفاه! يا حسرتي!

(ويضرب نفسه ويبكي كالأول.)

سلمى ([لـ] أبو الحسن): يكفاك يا أبي أن تزعج ذاتك، وتكثر شهقاتك، وحياتك أنا لم أسرع بالجواب، إلَّا لتقفل عني باب هذا الخطاب؛ لأن هذا الشخص الذي ذكرته لي لا أشتهيه، ولا لي مرامٌ فيه؟

أبو الحسن (لذاته): لا لا لا، قصدتُ أن أُوقِع في قلبها هيبتي، فضحكت على شيبتي.

أبو الحسن ([لـ] سلمى): كلام حتمي؟

سلمى ([لـ] أبو الحسن): كلام جزمي.

أبو الحسن (لذاته): وا ندمي، وا ندمي.

أبو الحسن ([لـ] سلمى): من الفؤاد؟ (مستفهمًا.)

سلمى ([لـ] أبو الحسن): من صميم الأكباد.

أبو الحسن (لذاته): ثقلت الأمور.

أبو الحسن ([لـ] سلمى): ألا تجعلين صرفًا لهذه القضية؟

سلمى ([لـ] أبو الحسن): أبدًا أبدًا بالكلية.

أبو الحسن ([لـ] سلمى): ما بقي لذلك انفكاك؟

سلمى ([لـ] أبو الحسن): ولو أُلقِيتُ إلى الهلاك؟

أبو الحسن ([لـ] سلمى): ها ها، الآن علمتُ أنكِ حُرَّة الشمائل، وأن طبعك إلى الرجال غير مايل، فارجعي إلى رأيك السابق، واقبلي عثمان زوجًا لك لأنه لايق.
سلمى ([لـ] أبو الحسن): لا لا، عن إذنك يا أبتاه.

(بصوت يُظهِر عدم الرضا والتذلل لأبيها.)

أبو الحسن ([لـ] سلمى): نعم نعم، عن إذنك يا ابنتاه (متقلِّدًا لها).
سلمى ([لـ] أبو الحسن): لا يمكن بالحقيقة.
أبو الحسن ([لـ] سلمى): نعم، يمكن بهذه الدقيقة، سأريك يا بنت اللعين، (ويذهب حردانَ ومغضبًا ثم يعود قايلًا): أي شي ماذا تقولين؟
سلمى ([لـ] أبو الحسن): لم أكلمك بشي (أبو الحسن يذهب ثم يلتفت إلى سلمى.)
أبو الحسن ([لـ] سلمى): كيف كيف؟ هل تعنين عليَّ؟
سلمى ([لـ] أبو الحسن): ما كلمتك يا أبي، اذهب بحراسة الله.

(أبو الحسن يتقدَّم إليها.)

أبو الحسن ([لـ] سلمى): هل ترضين عثمان؟ هذا الذي أتمنَّاه.
سلمى (لذاتها):

وا أسفاه وا أسفاه وا أسفاه! يـزوِّجـنـي بـمَـن لا أرضـاه

(وتبكي.)

أبو الحسن ([لـ] سلمى):

رويدًا كفاك بكاك رويدًا قفي نتصالح فبوسي يدي
رويدًا خذيها خذي قبِّليها فأنعمت فيها قفي واهتدي

سلمى ([لـ] أبو الحسن): لماذا تلجُّ بأمر زواجي كأني أثقل ... (وتريد تخرج).
أبو الحسن ([لـ] سلمى): لا تحردي، أنت ... أنت ... أنت، وحياتك لا تثقلين يا بنتي، ولكن الزواج الزواج ...
أبو الحسن (لذاته): أين محمود ليعطينا لهذا الارتباك علاج؟

أبو الحسن ([لـ] سلمى): الزواج شي وأي شي؟ ... يجعل الميت حي، خصوصًا لجنس النسا، وأيضًا لجنس الرجال؛ فإنه مُطيل العمر بغير جدال. وبضد ذلك البتولية؛ فإنها تجعل البنت الفتاة الصبية، أن تموت في سن الطفولية، هذه قاعدة منطقية.

سلمى ([لـ] أبو الحسن): العفو يا أبي، يكفي تهزى بي، انظر خالتك فإنها لم تتزوَّج بأحد من الأنام، وقد بلغ عمرها تسعين عام.

أبو الحسن ([لـ] سلمى): نعم، ولكن أما عندك العلم اليقين، بأن خالتي لو تزوَّجت بعثمان أو بأحد العثمانين، لكان يكون الآن عمرها ... أكثر من تسعين، والحاصل أنا أريد على أي وجهٍ كان، بأن تتزوَّجي من الآن.

سلمى ([لـ] أبو الحسن): هذا شي عديم الإمكان.

أبو الحسن ([لـ] سلمى):

جاء وقت القول بالجدِّ (٢١) طاوعيني واسمعي رشدي (مغضبًا)
وإذا لم تكملي قصدي لا تلوميني إذا متُّ
ويكِ سلمى! (ويبكي) ... ...

الجزء العشرون

(أبو الحسن، سلمى، الخليفة، عرقوب)

خليفة ([لـ] أبو الحسن):

ماذا أبكاكا؟ ما عسى جدَّ وأضناكا؟

(ويختلي تارة مع أبي الحسن وتارة مع عرقوب.)

سلمى (لذاتها):

ضاق صدري ضاقا من ذاكا نحس سارٍ كيفما سرتُ

آه لو كان مصطفى تعوَّق خمس دقايق، لبينما كنتُ نهيتُ هذا الصالح الموافق. ومع ذلك لا بأس من التأنِّي؛ لأني أرى أبي مضطرًّا أكثر منِّي، لا أعلم لماذا هو مجتهد هذا الجهد، آه، أظن ما هو إلَّا لإجراء المحبة وتزويج عمي سعيد مع دعد.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): أوصيك جدًّا بأن تجعل المخاطبة تحت الطي.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): تقدر أن تعتمد عليَّ (وينتقل نحو سلمى متوشوشًا معها).

خليفة ([لـ] أبو الحسن): لا تخف، علَّمتُ عرقوب كيف يتكلَّم معها، وأرشدته كيف يصنع ليُقْنِعَها.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): أدامك الله يا بطل الزمان.

أبو الحسن (لذاته): كيف اصطلح حال هذا الإنسان.

عرقوب ([لـ] سلمى):

اعلمي أن أباك قصده جازمٌ أن يتأهل بامرأة (٢٢)
وهي تأبى أن تراكِ عنده

سلمى ([لـ] عرقوب):

أنا أيضًا لستُ أقبل أن أراه (تتوجه)

الجزء الحادي والعشرون

(أبو الحسن، الخليفة، عرقوب)

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): طاوعتْ أخيرًا، والآن ذهبتْ لتأخذ رضا عمِّها، فينبغي أن أتبعها خوفًا من أن يغيِّرها عن عزمها.

خليفة ([لـ] عرقوب): لا يلزمك توصية وتكرار.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): لا يلزمك توصية وتكرار.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): كن مرتاح الأفكار.

عرقوب (لذاته): أفٍّ، صارتِ الساعة الثالثة بعد الغروب، فعثمان يكون انشقَّ من الانتظار.

الجزء الثاني والعشرون

(أبو الحسن، الخليفة)

خليفة ([لـ] أبو الحسن): ها، الآن من كل شي فكرك ارتاح، ففي غدٍ إن شا الله على الدجلة تحصل على تمام الانشراح.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): معلوم معلوم، ولو كانت تُعطى في بلادنا للحريم الحرية، وتذهب معنا دعد إلى البرِّية، لكنتَ تسمع مني أنغامًا عجيبة، وترى حركاتٍ مضحكة غريبة؛ لأنها ...

أبو الحسن (لذاته): أنا خايف أن يكون سعيد عاد توجَّه لمحلِّها، ونرجع إلى الافتتان لأجلها.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): أرجوك عدم المؤاخذة، فأنا سأعود عليك بأقرب زمان.

خليفة ([لـ] أبو الحسن): رح رح، لا يوجد تكليف بين الأصحاب والخلان.

الجزء الثالث والعشرون

(الخليفة)

خليفة (لذاته): حقًّا صدري قد انشرح بأنواعٍ غزيرة، في مداعبة هذه العيلة الفقيرة، ومع ذلك، لا بد لي أن أتمِّم ما خطر في بالي، والصواب أن أتعاهد مع عرقوب لإبلاغ آمالي.

إن من كان مغفل يجري (٢٣) خدعه جدًّا وهزلًا كالغلام
راق لي أنِّي أفعل أمرًا يبقى في التاريخ يُتْلَى للدوام

الجزء الرابع والعشرون

(الخليفة، عرقوب)

عرقوب ([لـ] خليفة):

مولاي، قم أدرك أخاك قد كاد يُلقَى في الهلاك (٢٤)
معه جنودٌ جمةٌ لم يستطع منها انفكاك

(خايفًا وراجفًا.)

* * *

خليفة ([لـ] عرقوب): لا تفتكر يا عرقوب من هذا القَبِيل، تقدَّم نحوي قليل ... (يتقدم.)

نحن لسنا دراويش، بل إننا نحن من نُدَما أمير العرب
وهو قد خصَّنا كي نطوف البلا د ونحكي له ما نراه عجب

عرقوب ([لـ] خليفة): أنتما، أنتما من ندماء الرشيد؟ (خايفًا راجفًا.)

عرقوب (لذاته): يا ربي، ماذا أفعل ... من ندماء الرشيد، وأظن أن هذا مصطفى هو النديم الأول؛ لأنه مُطاع ومُهابٌ ومبجَّل.

خليفة ([لـ] عرقوب): ارجع إلى عقلك، لا تكن مثل معلمك المغفل، اسمع مقالي، وجاوبني عن سؤالي: هل لك أن تطاوِعَنا، وتكون متَّحِدًا معنا؟ لأنه تجلَّى لي أن أفعل فعلة، وسنعلمك بتفصيلها غداة غدٍ في الوليمة على الدجلة، فإن نجحتَ جيدًا لتبليغنا مرامنا، لك علينا أن نفيض عليك بجود إنعامنا.

عرقوب ([لـ] خليفة): أنتما أصحاب الفضل مقدَّمًا ومؤخَّر، فإن أمرتماني على الموت لا أتأخَّر، ولكن يا سيدي أرجوك أن تُخبر عبدك عن قضية: لماذا توجَّه رفيقك ورجع بهذه الجنود الوفية؟

خليفة ([لـ] عرقوب): ها، أما سمعتَ معلِّمك مراتٍ ما لها تعداد، يُكثر الحدث لكي يحكم هذه البلاد، ويجلس ولو يومًا واحدًا على كرسي خلافة بغداد؟ فلهذه الغاية كان توجه رفيقي حين كان معلمك سكران؛ لأجل إدخال الحيلة عليه بقدر الإمكان، على أن هذه الجوقة التي نظرتها نجعلها بين يديه، ونقول له إنه صار خليفة، ومجتهدين أن ندخِّل الحيلة عليه، لننظر ما يجري منه بذاك الحين، ونبقى نعرضه على أمير المؤمنين. هذا الذي كنتُ افتكرتُ به، وإنما الآن لم يَبْقَ له لزوم؛ لأني عدت افتكرتُ بأن أُبقِي ذلك لوقت السيران المعلوم.

الجزء الخامس والعشرون

(الخليفة، عرقوب، جعفر، الجوقة)

جعفر وجوقة (للخليفة):

قـد تـم مـا أمـرتـه وأُطيع ما أشهرته (٢٥)

خليفة ([لـ] جعفر):

دبرت أمرًا آخرًا

جعفر وجوقة (للخليفة):

أحْسِنْ بما دبَّرته

خليفة ([لـ] جعفر):

قد جعلنا مع عرقوب كلام لتمام الحيلة (٢٦)
يستوي معنا لتحصيل المرام في احتفال الدجلة
فلنجد الآن سعيًا لا ننام كلنا بالجملة

جعفر وجوقة (للخليفة):

كل ما تأمره فهو مطاع إنما الأمر إليك
واجبٌ تمثيله والاتباع كلنا طوع يديك

خليفة ([لـ] جعفر):

لم يعد غير جزا الخادم بالغنا (٢٧)
فامنح الإنعام كاللازم

عرقوب ([لـ] جعفر):

ها أنا

الثلاثة ([لـ] خليفة):

أيَّد الله العليُّ الدايم مجدك المَنِيع البنا
اسلمْ سرمدًا اغنمْ أبدًا دمْ بالهنا!

جعفر ([لـ] عرقوب):

ويكَ عرقوب بادر تقدم (٢٨) ... ...

(جعفر يمدُّ يده لجيبه، وعرقوب يمدُّ يده ليقبض.)

عرقوب ([لـ] جعفر):

خلِّ يا سيدي ليس يلزم أنا حرٌّ للعطايا لستُ أقبل

(دايمًا مادًّا يده.)

جعفر ([لـ] عرقوب): خذ عطية شريفة (جعفر يدفع كيسًا إلى عرقوب).
جوقة ([لـ] عرقوب): وادعين للخليفة (جعفر يدفع كيسًا آخَر إلى عرقوب).
جعفر ([لـ] عرقوب): وأبقِ هذا باسم مولاك المغفل.
عرقوب ([لـ] للاثنين): دام مَن جاد بهذا وتفضَّل.
خليفة ([لـ] عرقوب):

قبل انطلاقي (٢٩)

الثلاثة ([لـ] خليفة):

بالسعود بحفظ بارينا الودود

خليفة ([لـ] عرقوب):

أوصيك في حفظ العهود

عرقوب ([لـ] الثلاثة):

ما رمتم افعلوه

عرقوب (لذاته):

معلمي أبو الحسن

(ناظرًا ومخشخشًا الدراهم التي قبضها من جعفر)

لا يَسْوَى نصف ذا الثمن

عرقوب ([لـ] الثلاثة):

عليَّ مشترى الكفن إن شئتمُ اقتلوه

الفصل الثاني

(في سراي الخليفة بغرفة ملوكية، وبها ملابس ملوكية، مع تاج وصولجان.)

الجزء الأول

(أبو الحسن، الجوقة)

جوقة (لذاتهم):

يا مالك الملك الأمين احفظ أمير المؤمنين (١)

أبو الحسن (لذاته):

حقًّا منامٌ مطربٌ يا ليته شيءٌ يقين

أبا الحسن، احرص على نومِك، وإلَّا تقع في الندامة، يا ليتني أبقى نايمًا إلى يوم القيامة.

(يجلس قليلًا ثم يرجع فينام.)

جوقة (لذاتهم):

أدِمْه للمملكِ واحرسه بالملايكِ (٢)

أبو الحسن (لذاته):

رؤيا ولكن حلوةٌ يا رب زد وبارِكِ

جوقة (لذاتهم): يا رب البرية، أيِّد الدولة العلية (٣)

(ثلاث مرار بأعلى أصواتهم ويذهبون.)

الجزء الثاني

(أبو الحسن)

(ينتبه مندهشًا من هذه الحالة ويقوم من السرير رويدًا رويدًا.)

أبو الحسن (لذاته):

أبا الحسن اصحَ ما هذا منامٌ ألستَ ترى الأوانيَ والأثاثا؟
أليس اليومُ يومَ السبت حقًّا وأمس الأربعا وغدا الثلاثا؟
أنا مستيقظٌ ما فيَّ شكٌّ غدوتُ مليكَ عزٍّ مُستغاثا
فصار الآن يُمْكِنني زواجٌ بدعدٍ وهي ... طالقةٌ ثلاثا

لا لا لا. طلقت العروسة؛ لأجل هذه القافية المنحوسة، ما علينا، فلنفحص الآن ... أنا في أي مكان، ها، أظن أني متُّ؛ إذ كنتُ في الحياة حافظ السُّنَّة، فنقلني المولى إلى الجنة، أبا الحسن، أبا الحسن، هذه جنة عدن، (يسمع قرع الباب فيرجع إلى فراشه) يلزم أن أتبصَّر بالأمور، ولا أزيد الاستعجال، (بصوت عالٍ) مَن هذا الذي تجاسَر على قرع الباب؟

الجزء الثالث

(أبو الحسن، عرقوب)

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): قم عن إذنك يا أمير المؤمنين.

(متجنِّبًا التقدُّم إلى مرتبة أبي الحسن، ويكون لابسًا ملابس ثمينة تشبُّهًا بجعفر الوزير.)

فليس لك عادة أن تستغرق في النوم وتمهل الصلاة لحد هذا الحين.

أبو الحسن (لذاته):

نعى لي نعيق عرقو ب بالشوم والبلاءِ
لقد خاب حسن ظني أنا لستُ في السماءِ
فهذا إذن منامٌ ولكن به ابتغائي
فيحتاج لي سكونٌ ونومٌ إلى المساءِ
عسى أن تعود تشدو الـ ـممالـيك بالغناءِ
وأبقى مدا حياتي طروبًا بذا الهناءِ

عرقوب ([لـ] أبو الحسن):

اسمع الأطيار صاحتٍ فانتبه عن إذنكا (٤) (يتقدم قليلًا)

أبو الحسن ([لـ] عرقوب):

العمى في أذنكا

عرقوب ([لـ] أبو الحسن):

قمْ فإنَّ الشمس لاحتْ

أبو الحسن ([لـ] عرقوب):

تكذب، الوقت ظلام دعني في طيب المنام
دعني من شمسٍ يا صاحِ أشرقت قبل الصباحِ

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): أعرضتُ لك أنَّ الشمس أشرقتْ، والناس لك بالانتظار.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): اسكت، ماذا يعنيني إنْ أشرقتِ الشمس قبل النهار؟! الحق عليها، لماذا استعجلتْ عن عادتها؟ فأنا لا أريد أن أسلك حسب إرادتها.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): قم يا أمير المؤمنين طال بقاك (ويمسك أبا الحسن من زنده).

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): قلت لك: اسدُدْ فاك، (يضرب عرقوب على كتفه، ثم يفتح عينيه) العمى العمى، حقًّا أني في يقظة لا في منام. عرقوب، أما نحن في أضغاث أحلام؟!

(مستعجبًا لملابس عرقوب) أي متى زارتْني وزارتْك هذه السعادة؟ تكلم، ما بالك أخرس على غير عادة؟! (يكرر هذه الجملة ثلاث مرات كل مرة أعلى من الأخرى.)

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): آه آه آه! (ويضع يده على كتفه المضروبة)، هكذا الخليفة يضرب وزيره الأكبر، آه آه آه، هذا الفعل لا يُحمَد ولا يُشكَر.

أبو الحسن (لذاته): بعد ساعة ونصف أفاق من الغفلة، وافتكر في طعمة القتلة.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): صحيح أني افتريت عليك، فسامحني واحكِ لي نحن في أي حالةٍ وريِّحني ... اشرح لي القصة بحياتي، وأزلْ عنِّي العَنا، وقل لي على الصحيح أنا مَن أنا.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): آه آه آه! القتلة أهون عليَّ من أن أحقر، كأنك تجهل بأنك الخليفة وأني وزيرك وسمَّيْتَني جعفر.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): أي شي وزيري يا كذوب؟ أمَا أنا أبو الحسن وأنت خادمي عرقوب؟

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): ها ها (ضاحكًا) ... تتذكَّر شيًّا منذ جملة أعوام، لا رحم الله تلك الأيام! (أبو الحسن يتأمَّل من جديد الأثاث).

أبو الحسن (لذاته): بدأت أصدِّق بهذا الأمر الجسيم، فسبحان القلَّاب العظيم!

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): أوضح لي إذن بالمعروف واللطافة، أي متى توجَّهتْ عليَّ الخلافة؟

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): يكفي أن تهزى بي، أنسيتَ يوم تمنَّيْتَ أن تَصِير خليفة، وكنتَ تتنعَّم بالتصوُّرات، وتورد تلك العبارات الظريفة؟ فبوقْتِه أمَّا طلبتُ منك الوزارة، فأنعمتَ عليَّ بها بأفصح عبارة.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): صحيح أنك حمار، يا حمار، هذا جرى لنا جملة أمرار، ولكنه كان بالفكر والحدس، لا بالنظر واللمس.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): صدقت، غير أنَّ آخِر مرة كانتْ في ليلة القَدْر، فاستجاب الله طلبك ونجَّح لك الأمر.

أبو الحسن (لذاته): هذا برهان مقبول، هذا يدخل في العقول، ولكن ...

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): أنت تقول إن خلافتي هي من أعوام جزيلة، أنا مفتكر أني كنتُ أبا الحسن من أيام قليلة، أنسيتَ حين كنَّا على الدجلة مع الدراويش، ومعاطاتي الأفيون وشرب الْمُدام والحشيش؟ فأظن ما عدا الغلط والسهو، أنَّ خروجنا من هناك لم يكن إلَّا من نحو ... نحو ... (يضع يده على جبهته).

عرقوب (لذاته):

لم يكن إلَّا أمس أمس المسا أمس يوم الإثنين بعد العِشا
حينما بنَّجوك في غفلةٍ مع شرب المُدام وقت العشا

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): نحو ... من نحو أربع سنين.
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): مضبوطٍ، صدقت يا أمير المؤمنين.
أبو الحسن ([لـ] عرقوب): فإذن الآن أنا ...
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): خليفة بغداد.
أبو الحسن ([لـ] عرقوب): ومالك هذه البلاد (يعجب بنفسه مفتخرًا متبخترًا).
عرقوب (لذاته): موقَّتًا من الآن لحد هذه العشية.
أبو الحسن ([لـ] عرقوب): ما بالك تحدِّث ذاتك بألفاظٍ منخفضة خفية؟
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): قلتُ إنك الخليفة وأنا وزيرك جعفر.
أبو الحسن ([لـ] عرقوب): وكلٌّ منا مُعتَبَر ومُوقَّر.
عرقوب ([لـ] أبو الحسن):

البس إذن هذي ثياب القضا ثم اقضِ بالإنصاف بين البشر
واستدعِ حُجَّابك كي يحضروا كأنجُم الدُّجى وأنت القَمَر

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): كيف، أيلزمني أن أغيِّر هذه الحوايج الثمينة كل يوم؟
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): كفى تسخر بي، هذه حوايج النوم.

الجزء الرابع

(أبو الحسن، عرقوب، إسحاق)

إسحاق ([لـ] أبو الحسن):

أسعد الله صباحك يا أمير المؤمنين (٥) ناصر الدين المكين

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): اسمي الآن ناصر الدين.
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): نعم.
أبو الحسن ([لـ] عرقوب): وهذا مَن يكون من المستخدمين؟

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): إلى متى تُظهِر الصناعة وتدَّعي بقِصَر المعارف؟ حتامَ تقرأ في تجاهل العارف.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): أنا أقرأ في هذا الكتاب، من أين لي أن أعرف الفقه والإعراب؟

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): ألم تعلم أن هذا بوَّاب قصرك، وقد امتثل جملة مرار لقضاء أمرك؟ (أبو الحسن يتفرَّس بإسحاق مظهرًا له المحبة.)

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): ها ها، صحيح أني سريع النسيان بالكلية، لا تؤاخذني يا عر... يا جعفر على هذه القضية، (يضع يده على جبهته) الآن تذكَّرتُ أني أعرف هذا الولد الوديع الأخلاق، واسمه ... واسمه ... (يضع يده أيضًا على جبهته.)

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): إسحاق؟

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): نعم، اسمه إسحاق.

وفي ذلك اليوم استلطفت خدمتَه وانسجامَه، ووعدته بأن أرفع له مقامه.

أبو الحسن ([لـ] إسحاق): أما هو هكذا يا بوَّابي النجيب، وولدي الحبيب؟

إسحاق ([لـ] أبو الحسن):

لم أزل اذكر سماحك فاحْيِ مَن أسعدتَه (٦)
وأوفِ مـا أوعـدتَـه

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): اعطِهِ يا عر ... يا جعفر.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): إنَّ ذا الأمرَ لَمُنكر

* * *

لا يُوافِق يا مولاي بشانك، ولا يَلِيق أن تتنازل إلى أحد غلمانك، اسألْه عن قصده ودعْه ينصرف من بين يديك.

عرقوب ([لـ] إسحاق): إسحاق، اعرض للخليفة ما جدَّ عليك.

إسحاق ([لـ] أبو الحسن): يوجد في الباب درويشان، وهما طالبان الإذن ليلتمسا على سبيل العادة الإحسان.

أبو الحسن ([لـ] إسحاق): على سبيل العا...

إسحاق ([لـ] أبو الحسن): ويقدما الدعا بدوام العزة الملوكية، وارتفاع شان الدولة العلية.

أبو الحسن (لذاته): يا ناس، هل يحلم الإنسان منامات وهو في اليقظة؟
أبو الحسن ([لـ] إسحاق): إسحاق (ويشير له بالتقدم).
أبو الحسن ([لـ] عرقوب): أنت اذهب عنَّا لحظة (عرقوب يذهب ثم يرجع باستراقٍ ويقِف خلف إسحاق).
أبو الحسن ([لـ] إسحاق):

إسحاق، كن معي صادقًا ولك مني الإنعام والثنا
وأخبرني على الصحيح أنـــا مـــن أنـــا؟

إسحاق ([لـ] أبو الحسن):

أنت أمير المؤمنين الذي يعنو لديه كلُّ خاصٍّ وعام
أمينُ ربِّ الناس في أرضِه لا زال يسْمو مُلْكُه كل عام
ما جاء محتاجٌ إلى بحره إلا ارتوى غليلُه ثمَّ عام

أبو الحسن ([لـ] إسحاق): لا لا، قلْ على الصحيح، لا تكون كمجنون.
إسحاق ([لـ] أبو الحسن): فإذن مَن أنت؟ ومَن تريد أن تكون؟
أبو الحسن ([لـ] إسحاق): أنا ... أنا ... أنا هو ذاتي.
أبو الحسن (لذاته): هذا منام وحياتي، آه، فلنجرِّب هل أنا مستيقظ أم غافل.
أبو الحسن ([لـ] إسحاق): إسحاق أنت ولد نبيل عاقل، هذا إصبعي انظره، أما هو إصبعي أكيد؟ امسكه، فلي أرب حميد، ضعْه في فَمِك، وعضَّه بكلِّ قدْرتك. (يسلِّمه إصبعه ويحوِّل عنه وجهَه متألِّمًا، فيأخذ عرقوب إصبع أبي الحسن عوضًا عن إسحاق الذي يذهب برشاقة وخفة) شد شد بكل قوتك.

الجزء الخامس

(أبو الحسن، عرقوب)

أبو الحسن (لذاته): آه آه آه، يكفي بحب الله، قد عرَفتُ يا إسحاق أني لستُ في أحلام وتأكَّدتُ أني في انتباهٍ تام (متوجِّعًا من عرقوب الذي يظنُّه إسحاق، فيُخاطِبه عرقوب بصوت غير اعتيادي كأنه يتقلَّد إسحاق).
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): روحي فداك، لا بأس عليك يا جليل.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): مقبول منك يا إسحاق الجميل، (ويتقدَّم ليصافحه فيرتعش إذْ يُحقِّقه أنه عرقوب)، يا لطيف، يا لطيف، أين إسحاق؟ البوَّاب النظيف؟

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): أي إسحاق وأي بوَّاب؟ دع عنك إذن هذا الاضطراب، ما عندك غيري أحد.

أبو الحسن (لذاته): لا حول إلَّا بالله الصمد، لا شكَّ أني مسحور، أو دخل على عقلي أمر من الأمور.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): البس ملابسَ القضا والإقبال، واطلب مماليكك يأتون بالحال، واجلس على كرسيك اقضِ الأشغال.

أبو الحسن (لذاته): لا شكَّ أني مسحور، أو دخل على عقلي أمر من الأمور.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): أليس هذا البرفير المنظوم؟ لتكن موقرًا من العموم.

(يُلبسه البرفير.)

أبو الحسن (لذاته): لا شك أني مسحور، أو دخل على عقلي أمر من الأمور.

(يلبس البرفير برعدة.)

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): ارفع هذا الشربوش عن هذا الراس، وضَعْ عِوَضه هذا التاج المرصع بالماس.

أبو الحسن (لذاته): لا شك أني مسحور، أو دخل على عقلي أمر من الأمور.

(ويُظهِر الخوف من لبس التاج، وبعده يلبسه.)

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): لابق لي؟ (مشيرًا على التاج) لايق لي؟ جنسي ملايم جنسه؟

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): كيف لا وأنت منذ أربع سنين متعوِّد على لبسه؟

أبو الحسن (لذاته): لا شك أني مسحور، أو دخل على عقلي أمر من الأمور.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): دعنا من هذا الدرس الغير المفيد، وخذ تحزَّمْ بهذا الحزام الذي ما له نديد (أبو الحسن يأخذ الحزام ويضعه في رقبته).

أبو الحسن (لذاته): لا شك أني مسحور، أو دخل على عقلي أمر من الأمور.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): يا ويلاه! (يرفعه ويشدُّه به) تحزَّم به جيدًا كالواجب، واترك هذا الدرس لأني حفظتُه على الغايب، كن على انتباه، واسمع لي إياه، لا شك أنك مسحور، أو دخل على عقلك أمرٌ من الأمور.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): هكذا أنت تجيب الخليفة؟ لعن الله لحاك الطفيفة.
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): أفٍّ، أمسك هذا الصولجان؛ لأنه مختص بملوك الزمان.
أبو الحسن ([لـ] عرقوب): هكذا أنت تجيب الخليفة؟ لعن الله لحاك الطفيفة.

(ويمسك الصولجان ويعوجه تارة، ويرفعه عن عادته أخرى، وعرقوب يصلح يده.)

عرقوب (لذاته): هذا درسٌ جديد، من بحر المديد.
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): لي ...
أبو الحسن ([لـ] عرقوب): هكذا أنت ... إلخ (غضبان).
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): لي رجاء ...
أبو الحسن ([لـ] عرقوب): هكذا أنت ... إلخ (غضبانَ).
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): لي رجاءٌ، دع لحاي، وامسك تلك الأمثولة؛ فهي لطيفة (يلتفت) ها ها، مصطفى ومحمود قاصدان إنعامك، فاعطِ النعمة استحقاقها ليلًّا يحتقرا مقامك.
أبو الحسن ([لـ] عرقوب): وهل الدرويشان هما في بغداد الآن؟
عرقوب ([لـ] أبو الحسن): كيف لا؟ وهما يتردَّدان على حضرتك غالب الأحيان؟ وقد جعلتَ لهما تعيينًا يوميًّا وخلعة كل عام، تنعم بها عليهما بمثل هذه الأيام.

الجزء السادس

(أبو الحسن، عرقوب، الخليفة، جعفر)

الاثنان ([لـ] أبو الحسن):

أسعد الله صباحك يا أمير المؤمنين (٧)
ناصر الدِّين المَكين
أجزلَ الله صلاحك لنا خلعاتٌ عظام
نكتسيها كل عام

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): في خاطري أن أسألهما عن الخبر، وأستعلم عن ذاك السيران كيف ادَّثَر.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): بهذا النوع تعطيهما سبيلًا للازدرا فيك، وتجعل دادا مصطفى أن يستعمل قوة سحره ليجلس على كرسيك.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): آه! ذكَّرتَنِي بِسِحْر دادا مصطفى ... اذهب قليلًا عني.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): مصطفى، ادنُ مني، أنت تقول إنك ماهرٌ بالكهانة وضرب الرمل، وتحفظ جيدًا سورة النمل، فأدْركني بضرب رملٍ محكم، وأعلِمْني ... وأعلمني كما تعلم (الخليفة يكتب على ورقة وأبو الحسن يراقبه).

جعفر ([لـ] عرقوب): ادخل قُلْ لمسرور ليَطْلُبه من طرف الملكة (عرقوب ينسحب برشاقة).

الجزء السابع

(أبو الحسن، الخليفة، جعفر)

خليفة ([لـ] أبو الحسن): أفٍّ، وارد عليك تهلكة، وأيُّ تهلكة! (مُظهرًا الخوف.)

أبو الحسن (لذاته): ما كان أغناني عن هذه المملكة! (مثله.)

أبو الحسن ([لـ] جعفر): دادا محمود ...

جعفر ([لـ] خليفة): أي شيء هذه التهلكة يا رفيقي؟ عسى الأمر لخير، حماه الله، من كل شر وضير.

أبو الحسن (لذاته): حماني الله من كل بشرٍ وطير.

خليفة ([لـ] للاثنين): آه، أظهر لي القلم، تجهيز عساكر عند ملك العجم. (متأملًا بالورقة التي بيده) وا حرباه! عساكر مثل الجراد، كلهم قاصدون بغداد.

أبو الحسن (لذاته): ما هذا الفال؟! ما هذه الوقعة؟! ما هو التدبير؟ الله يحمينا من شر الأعجام العبيد الطناجير. (يلتفت للباب) ها أتانا عبدٌ عند ذكر العبيد.

جعفر ([لـ] أبو الحسن): هذا خادمك مسرور، انظر ماذا يريد، وبعده نتدبر لهذا الأمر برأي سديد.

الجزء الثامن

(أبو الحسن، الخليفة، جعفر، مسرور)

مسرور ([لـ] أبو الحسن):

زبيدةٌ ذات المجد سيدتي تدعوك يا سيدي إلى الطربِ
مايدة المشروبات وقت الضحى تشرق بالأنس الزايد العجبِ

أبو الحسن ([لـ] جعفر):

اصرفه عنِّي ما صار وقتُ الغذا وما إلى الأكل الآن من سببِ

جعفر ([لـ] أبو الحسن):

ما ذاك إلَّا تأهُّبٌ للغدا لا غيَّر الله عادة النُّجُبِ

مسرور ([لـ] أبو الحسن): كل شيء تحضَّر بالقاعة الدرية.
أبو الحسن ([لـ] مسرور): في القاعة الدرية؟! (متعجبًا وغير عارف معنى هذا الكلام.)
جعفر ([لـ] مسرور): الشرقية أم الغربية؟ (مستفهمًا.)
أبو الحسن ([لـ] مسرور): ها ها، الشرقية أم الغربية؟ (مستفهمًا.)
مسرور ([لـ] أبو الحسن): في القاعة الشرقية، ودَوْر الخدمة اليوم على هند البهية.
أبو الحسن ([لـ] مسرور): على هند البهية؟! (متعجبًا.)
جعفر ([لـ] مسرور): الحجازية أم الكوفية؟ (مستفهمًا.)
أبو الحسن ([لـ] مسرور): ها، الحجازية أم الكوفية؟ (مثله.)
مسرور ([لـ] أبو الحسن): هند الحجازية.
أبو الحسن ([لـ] مسرور): لا بأس، الآن لي شغل ضروري مع مصطفى ...
جعفر ([لـ] مسرور): ولكن مع ذلك ينبغي تفضيل وقت الصَّفا.
أبو الحسن ([لـ] جعفر): آه، قلبي راجف من هذا الخبر، وأودُّ قبلًا أن أستقصي جيدًا للوقوف على الأثر.
جعفر ([لـ] أبو الحسن): بعده تبقى تستعلم؛ لأنني أظن حسب القوانين والطريقة، أن المايدة لا ينبغي تعويقها ولا دقيقة، ومع ذلك حضرتك أدرى بالرسوم.

أبو الحسن ([لـ] جعفر): صحيح، هذا هو الترتيب المحتوم (ويظهر بمعزل بقوة الإشارات أنه لا يفهم شيئًا من ذلك).
أبو الحسن ([لـ] مسرور): قلنا إنَّ لي شغلًا ضروريًّا مع مصطفى ولكن ...

(يستغيث بجعفر ليعينه على إتمام الكلام.)

جعفر ([لـ] مسرور): ولكن مع ذلك ينبغي تفضيل وقت الصَّفا.
أبو الحسن ([لـ] مسرور): ولكن مع ذلك ينبغي تفضيل وقت الصَّفا.
أبو الحسن (لذاته): لم يزَلْ فكري غير مطمئن، يلزمني أن أستعمل كل أنواع الفن.
أبو الحسن ([لـ] مسرور): يا ...
أبو الحسن (لذاته): نسيتُ اسمَه.
أبو الحسن ([لـ] مسرور): يا ... (يأخذه على جهة) اسمك على راس لساني.
مسرور ([لـ] أبو الحسن): عبدك مسرور.
أبو الحسن ([لـ] مسرور): أيوا ... اعلم يا مذكور، أنت الذي وظيفتك ... خمِّن ما هي وظيفتك، إنْ كنتَ صادقًا في خدمتك.
مسرور ([لـ] أبو الحسن): وظيفتي خادم نعمتك، وسيَّاف نقمتك.
أبو الحسن ([لـ] مسرور): لا لا ... لا تحاول أمام عظمتي ... ما أنت كما قلت، بل أنت سيَّاف نعمتي، وخادم نقمتي، خمِّن تخمينًا آخَر، وأنْبِيني جيدًا يا مذكور ...
مسرور ([لـ] أبو الحسن): أنبيك أولًا كما معلومك أنَّ اسمي مسرور، ولأي سبب سُمِّيتُ بهذا الاسم — أي اسم مسرور — لأن أبي يوم ولادتي كان مسرورًا ومملوءًا من الحبور، فقال: حيث إني مسرور، فأدعو ابني باسم مسرور؛ لأنه اسم هين ومقبول. ودُعيتُ باسم مسرور، اسم مشتق من سَرَّ يسرُّ سرورًا؛ فأنا مسرور على وزن مفعول، ومِن ذاك الوقت للآن صار بعضُهم يُناديني: يا مسرور، وبعضهم: يا مسرووور (مطولًا لفظة مسرور ورافعًا صوته).
أبو الحسن ([لـ] مسرور): حقًّا قصتك ظريفة يا مذكوور (لافظًا إياها كما مسرور لفَظ مسرووور)، فأنبيني إنباءً ثانيًا، وخمِّنْ إن كنتَ خبيرًا، أنا مَن أنا يا أبا طرطور.
مسرور ([لـ] أبو الحسن): ارجع إلى اسم مذكور؛ لأنه مشهور.
أبو الحسن ([لـ] مسرور): ما لنا وهذا الكلام؟ أعلمني على الصحيح، أما أنا مسحور؟
مسرور ([لـ] أبو الحسن): مسحور؟ (مستفهمًا.)

أبو الحسن ([لـ] مسرور): كيف لا وأنا خليفة منذ أربع سنين، واسمي ناصر الدين مع أني الآن لا أتذكَّر شيًّا ممَّا مضى؟! وبالحقيقة قد ضاق بي الفضا.

مسرور ([لـ] أبو الحسن): إن كان صدرك ضيقًا فادخل قاعة الزهور، والعب بالشطرنج مع السيدة زبيدة بنت جعفر بن المنصور، وإن شئتَ أن تطلب أبا إسحاق النديم، فاستَدْعِه ليُطْرِبَك بألحانه؛ لأنه تحت الأمر مُقيم، وإن أردتَ إحضار نَدِيمك أبي نواس، فأْمُرْ بذلك ليُسمِعَك اللطايف والأشعار، وتطرد من صدرك الوسواس، وإن شئتَ أن تكتب مراسيم لغرضٍ من الأغراض فاخلط السواد بالبياض فينقضي أمرك بلا اعتراض.

أبو الحسن ([لـ] مسرور): آه، ذكَّرْتني بما كنتُ أشتَهِيه ليلة القدر، فبعد المايدة أهتم بذلك. أخبرني قبلًا مَن يوجد الآن هنالك؟

مسرور ([لـ] أبو الحسن):

إنَّ هندًا وسعاد وسعدى مستعداتٌ لتتميم أمرك
وسُلَيْمى ثم مي ولبنى ثم أسما لاهجاتٌ بذكرك
رتَّبتْ قوت القلوب الغواني وشدَتْ ضوء النهار بشكرك
هؤلاء كلهن جواري غانياتٌ زاهراتٌ بقصرك

(بأثنا إيراد هذه الأبيات أبو الحسن ينذهل ويتعجَّب.)

خليفة ([لـ] جعفر): ما شا الله على مسرور! فإنه أعجب في دوره وأبرح.

جعفر ([لـ] خليفة): من ذا الذي يستظلُّ في ظِلِّكم ولا ينجح؟!

أبو الحسن (لذاته) (بعد تفكُّره قليلًا): كلام مذكور يشوِّقني للتمسُّك بهذه الدولة للنهاية، وكلام مصطفى عن قدوم عساكر العجم يُخِيفني للغاية، فيا تُرَى ... يلزم أن أشْبَع قبلًا من هذه الخليقة الجديدة، وبعدَه أدبِّر مع مصطفى طريقة حميدة.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): لا تبرح من مكانك حتى ... تعال معي؛ فلي عندك مسايل شتى (أبو الحسن يذهب متجليًا بين الخليفة ومسرور ويتقلَّده جعفر من خلفه مرتِّلًا كما يأتي):

جعفر (لذاته):

رح بحفظٍ وسرور وانشراحٍ وحبور (٨)
كمَّل الله انشراحَك دايمًا بالطربِ يا أمير العربِ

أبو الحسن ([لـ] جعفر): دادا محمود، ابقَ مكانك؛ فأنا سأعود إليك بالحال؛ لكي تمدني برأيك وتُريحني من البلبال، ولك عليَّ أن أغنيك بالمال والنَّوال (جعفر يثبت وحده كاتبًا على ورقة، وهي التي تَظهَر في جيب أبي الحسن في الفصل الثالث).

الجزء التاسع

(جعفر، إسحاق)

إسحاق ([لـ] جعفر): شابان في الباب؛ واحد اسمه سعيد، والثاني اسمه عثمان، حضرا أمس ليشكيا أمرهما لملك الزمان، وحيث الإيوان كان مقفولًا فدفَعْتُهما معًا، وها هما الآن قد رجعا.

جعفر ([لـ] إسحاق): آذِنْهما بالدخول لنَرَى أمرَهما، ونجبر، بحول الله، كسرهما.

(إسحاق يلتفت نحو الباب.)

إسحاق ([لـ] للاثنين):

تقدَّما وادخُلا في أمنٍ وأبشِرا بالمنى والحظِّ
هنا أبو الكرم المولى جع ...

جعفر ([لـ] إسحاق):

اسكت ... أنسِيتَ مآل الوعظِ؟
ألم نعلمك في تدقيقٍ بكل شيءٍ بأجلى لفظِ؟

إسحاق ([لـ] جعفر):

إنَّ اللسان عدو الإنسا ن فاعفُ عني ودُم بالحفظِ

الجزء العاشر

(جعفر، عثمان، سعيد)

عثمان ([لـ] سعيد): هذا دادا محمود، ما أحلى هذه الصدفة الظريفة! (بصوت عالٍ.)
جعفر ([لـ] عثمان): اخفِضْ صوتَك؛ أنت في دار الخليفة.

عثمان ([لـ] جعفر): آه يا عمَّاه، أين تركتَ أبا الحسن؟

جعفر ([لـ] عثمان): عنده رفيقي، وأنا أتيتُ لألتمس من الخليفة الإحسان والمنن.

عثمان ([لـ] جعفر): نحن أيضًا أتينا لنشكي للخليفة حالنا، ونعرض لديه ما جرى لنا، وحيث لك عادة بالتردد إلى هذا الإيوان، والدراويش يُكرَمون من ملوك الزمان، فنرجوك أن تُرِيحنا من أتعابنا، وترفع نِير أبي الحسن عن أرقابنا؛ لأنه يريد يحكم علينا بكل أعمالنا، ومِن عناده يمنعنا عن نوال آمالنا.

جعفر ([لـ] للاثنين):

اكشفا لي عن قصتكما لعلِّي أقدر على سعفتكما

سعيد ([لـ] جعفر): بالحقيقة أملنا فيك غزير، وطمعنا في مراحم الخليفة كبير، ولنا أمل أنك لا تفضل أخي علينا؛ لأن محبتك للحق تضطرك أن تَميل عنه وإلينا.

الاثنان ([لـ] جعفر):

حديثنا مستغربُ مستغربٌ مستصعبُ (٩)
فاصغَ لنا وكن لنا لنا نصيرًا محسنَا

عثمان ([لـ] سعيد):

سعيد، أوضِحْ أمرنا.

* * *

سعيد ([لـ] جعفر): يا مولاي، قلَّ مني الاصطبار، وها أنا أشرح لك القصة بالاختصار، أنا أريد أتزوَّج بنت الشمولي دعد، وهي تريدني قبل وبعد، وهو ذا أخوها.

سعيد ([لـ] عثمان): أما هو هكذا العهد؟

عثمان ([لـ] سعيد):

أجل أجل، نعم نعم بذلك الله حكم (١٠)

عثمان ([لـ] جعفر): نعم نعم، أجل أجل

عثمان ([لـ] جعفر):

عند العهود لم نَزَلْ

سعيد (لذاته):

مقدَّرٌ منذ الأزَلْ

جعفر (لذاته):

الحب في قلبي نزل

الاثنان ([لـ] جعفر): وفيك علَّقْنا الأمل.

سعيد ([لـ] جعفر): أمَّا أخي أبو الحسن كان مؤملًا أن يتزوَّجها، ولكنه عاد اعتفى، وأَذِنَنِي أن أتزوَّجها أنا بكلِّ رضاه، وذلك بشهادة رفيقك دادا مصطفى.

عثمان ([لـ] جعفر): نعم، أنا أشهد بكل شيء يقرِّره سعيد.

سعيد (لذاته): اسمعوا يا ناس هذا الكلام المركب المفيد.

(يكرر هذه الجملة ثلاث مرات.)

سعيد ([لـ] جعفر): وقد أعطاني أخي عِقدًا علامةً للصلح والسلام، وللوقت توجَّهتُ لبيت عثمان لأقطع الكلام، وإذْ كنتُ هناك وإذا بأخي بعد برهةٍ من الزمان، قد تَبِعَني كأنه على ما صار ندمان، وفيما بين الخصام ادَّعى بأنَّه لم يُعْطِني العِقْد، إلَّا بناءً على أن أترك له دعد، فلأجل هذا الاختلاف الغير المحتمل، (عبارة كلام سعيد لحدِّ الآن يُصادق عليها عثمان) حصل بيني وبينه نزاعٌ أمرُّ من الـ...

عثمان ([لـ] سعيد): أمرُّ من الكلام الذي أخذتَه على حاصِلِك كما تريد، أَلَكَ خاطر أن تشكي أمرك بالشرح الطويل المديد، وتجعل نصيبي الكلام المركب المفيد؟ ألا تفتكر؟!

سعيد ([لـ] عثمان): لا تكن عجولًا، الآن تنظر ماذا أفعل.

سعيد ([لـ] جعفر): أمرُّ من الـ...

عثمان ([لـ] جعفر): أمرُّ من الحنظل.

جعفر ([لـ] للاثنين):

عندنا بذا خبر

جعفر (لذاته):

ما أسرَّه خبرًا!

جعفر ([لـ] للاثنين):

فهو أمس أخبرنا كل ما مضى وجرى

جعفر سعيد:

ثم قال إنك قد رحتَ مفعمًا كدرَا
وهو راح مضطربًا راجفًا ومنقهرَا
خاف من مقالك أن تستعين بالسحرا

سعيد ([لـ] جعفر):

نعم، إني تهدَّدتُه ورب العرش عاهدته
ولم أبرح على قصدي كما أني توعَّدته
إذا لم أنتصف منه وأبلغ كلما كِدْتُه
جعلتُ السحرَ لي عونًا وبالأرياح بدَّدتُه
كذا بهرام أعطاني كلامًا حين شاهدته

(جعفر يلتفت نحو باب الحرم.)

جعفر (لذاته): هذا عرقوب آتٍ مع مسرور، أخاف أن يُعرف وتتعرقل معنا الأمور.
جعفر ([لـ] للاثنين): ألَا تريدان توكِّلاني بهذه القضية؟ اذهبا، وبحوله تعالى بعد قليلٍ أستجلب لكما الإرادة السَّنِية.
سعيد ([لـ] جعفر): الأمر لك (يريد الخروج فيمسكه عثمان).
عثمان ([لـ] سعيد): إلى أين؟ إلى أين؟ احكِ من نحوي كلمتين.

سعيد ([لـ] عثمان): ما ساعدتني القافية، نبقى نرجع مرةً ثانية.
عثمان ([لـ] سعيد): كأني أنا ألثغ، لا أعرف أتكلم.
عثمان ([لـ] جعفر): يا سيدي ...
جعفر ([لـ] عثمان): لا يحتاج لا يحتاج، أنا أعلم.
عثمان ([لـ] جعفر): تعلم أن أبا الحسن شتَمَني في بيتي إذ كان مختصمًا مع سعيد، ومنع عني بنته سلمى مع أني متعاهِد معها على الزواج من زمان مديد، فهل له سلطة؟
جعفر ([لـ] عثمان): رح رح، لا يعنيك، أنا أهتمُّ فيك.
الاثنان ([لـ] جعفر):

يا بختَ مَن أسعفتَه يا سعدَ مَن أنصفتَه (١١)
أنت الكريم المحسنُ ونحن فيك نؤمنُ
فافعل كما تستحسنُ

الجزء الحادي عشر

(جعفر، مسرور، عرقوب)

جعفر ([لـ] مسرور):

مسرور أخبر ما صار واقصص عليَّ الأخبار

مسرور ([لـ] جعفر):

شيءٌ يفوق الأفكار

عرقوب ([لـ] جعفر):

ما صار إلَّا في الدار
حُبِسْتُ مثل الأشرار

جعفر ([لـ] مسرور):

فاشرح إذن أنت يا مسرور ما حصلا (١٢)

مسرور ([لـ] جعفر):

معي مراسيم مأمورٌ بها عجلا

جعفر ([لـ] مسرور):

رح حيث تهوى

مسرور ([لـ] جعفر):

إن شئتَ فادخل إلى الجوَّا ترى عجبا
وتدري ما قد جرى، بل تمتلي طربا أرجـــــوك عـــــفـــــوا.

الجزء الثاني عشر

(جعفر، عرقوب)

جعفر ([لـ] عرقوب): يا مسكين، فإذن أنت لم تدخل إلى الجوَّا ولم تنظر أحدًا من النسوان، ولم تدَّخل المحال على معلمك كما فعلت في الدجلة وفي هذا الإيوان؟

عرقوب ([لـ] جعفر): ومن أين علمتَ الذي جرى بيني وبينه في هذا المكان؟

جعفر ([لـ] عرقوب): كيف؟ أما كنتَ تراني مع رفيقي نتراءى خلف الستار؟ بالحقيقة إننا كنا بالتفرُّج عليكما نُجْلِي الهموم والأكدار.

عرقوب (لذاته): الآن وقت أن ألعب على قفش كم دينار.

عرقوب ([لـ] جعفر): وهل بلغ من قدركما أن تحتقراني، وتقفا خلف الستار لتتفرجا عليَّ وتخفضا شاني؟ ما أنتما إلا ندماء الخليفة، وأنا جعفر وزير حضرته الشريفة.

جعفر (لذاته): هذه لطيفة.

عرقوب ([لـ] جعفر):

علا قدري ولي هِمَمٌ عليَّهْ ولي شأنٌ تكرِّمه البرية
وزيرٌ مفردٌ شهمٌ خطيرٌ نصير الدولة العُلْيا العَلِيَّة

(ويتبختر متعظمًا.)

جعفر ([لـ] عرقوب): اسمع يا عر... (يريد أن يقول له: يا عرقوب فيقاطع عليه عرقوب الكلام.)

عرقوب ([لـ] جعفر): أنا لستُ عر ولا كر، ما أنا إلا وزيرٌ حر.

جعفر ([لـ] عرقوب): اسمع يا ... يا أيها الرجل الجزيل الظرافة، إن رفيقي معوِّل على أن يشتري من معلمك الخلافة، فلا بد من أن يحصل عليها، وأما أنا فالوزارة ما لي اتصال إليها؛ لأنَّ ثمنها ...

عرقوب ([لـ] جعفر): وهل تظن أنَّ وزارتي هي غالية، حتى تخاف منها وترفض هذه الرتبة العالية. ادفع لي مهما شئتَ لأبيعَكَها وتحصل على الانبساط، ادفع لا تخف لأني أبيع من الأسباط.

جعفر ([لـ] عرقوب): آه آه آه! (ضاحكًا) أخبرني يا عرقوب (مادًّا يده إلى جيبه) هل تعتبر الدراهم أم لا تعتبرها؟

عرقوب ([لـ] جعفر): تارةً أعتبرها، وتارةً لا ... لا أحتقرها.

جعفر ([لـ] عرقوب): كيف الآن؟ (مبرزًا له كيسًا) هل أنت جعفر أم عرقوب؟

عرقوب ([لـ] جعفر): أنا ... أنا ... (حتى يتناول الكيس) أنا عرقوب الكذوب، أنا شقيٌّ مغضوب، وإن زدتَ لي كم دينار، فلك أن تسمِّيني حمار.

جعفر ([لـ] عرقوب): انظر هذه الورقة (مبرزًا الورقة التي كتبها في الجزء الثامن من هذا الفصل) فهذه سيصير لها شان، وأي شان! سيظهر مفعولها في الليل المقبل بعد تبنيج معلمك وترجيعه كما كان، (يكتب عليها) تحريرًا سنة ماية وخمس وثمانين هجرية، حين باع عرقوب وزارته بقيمة دنية.

عرقوب ([لـ] جعفر): آه! صحيح أني مجنون، خذ دراهمك لأني مغبون.

(يناوله الكيس ويرجعه جملة مرار.)

جعفر ([لـ] عرقوب): انسحب قليلًا، ها هي دعد مناهزة الحضور، فلا بد أن يكون حضورها من جملة المراسيم التي خرج بها مسرور، رح رح ادخل دار الضيوف، ها هي دعد بالباب.

عرقوب ([لـ] جعفر): سمعًا وطوعًا، ولكن لا بد لنا من نقض الحساب.

الجزء الثالث عشر

(جعفر، مسرور، دعد)

دعد ([لـ] مسرور):

مسرور احلم ليس يحتاج ثور العجاج واللجاج (١٣)
إنـي أعـلـم أن ذي الـدارَ دارُ الـوقـار والـفـخـار
هـــــبْ أنَّ الـــــرشـــــيـــــدا
يـــصـــيـــر بـــعْـــلـــي (١٤)
بـــــعـــــلًا إن أريـــــدا
مـــــا خـــــلا خـــــلِّـــــي
عـــارٌ رغـــم مـــثـــلـــي مـــن ذوي الـــعـــدلِ

مسرور ([لـ] دعد):

إنني مأمور لا لوم علي

دعد ([لـ] مسرور):

أين يا مسرورُ مولانا لكي

جعفر ([لـ] دعد):

دعدُ لا تخافي، حلمه وافي

* * *

دعد ([لـ] جعفر): أنت هنا يا دادا محمود؟ آه، الآن تعزَّيْتُ نوعًا، وأخذتُ بعد يأسي روعًا؛ لأن أخي عثمان أخبرني عن زيادة رأفتك، وعن وعدك له أن تشملنا بسعفتك، وصار لنا العشم أن ننتصر على أبي الحسن الذي بوقت خلفته مع أخيه صار كمجنون، وكان يشتمنا جميعًا ويعاملنا كأننا خدامون؛ فلذلك يا عمَّاه كنت أتيتُ لأشكي أمري إلى الملكة، فقابَلَني مسرور بعد مقابلتي أخي في الطريق وأخبرني خبرية مهلكة. على أن الخليفة صدر أمره لإحضاري لهذه الدار؛ لكي يزوِّجني بمَن يُريد ويختار، فمِن أين يعرفني

الخليفة ليُرغِمَني على الزواج بمَن يُريده بالغصب والقهْر؟! بعدما كنتُ أرجو منه على أبي الحسن الإنصاف والنصر؟ مع أني ... أنت ربما تعلم محبَّتي مع سعيد، وتعرف أني غيره لا أريد، فهل لك لمولانا الرشيد اتصال لتعلمه بواقعة الحال؟

جعفر ([لـ] دعد): قلتُ لك لا تخافي؛ لأن الخليفة حلمه وافي، فأنا أضمن لك نيل مرادك، ورغم أعداك وحُسَّادك، لا يُداخِلك بذلك شكوك؛ لأن الدراويش رجاهم لا يُصَدُّ عند الملوك، ها أنا متوكِّلٌ على الله مؤمِّلًا بنوال الأمل.

جعفر ([لـ] مسرور): خذ الأمور بالمهَل، وأنا آتيك على عجَل.

الجزء الرابع عشر

(مسرور، دعد)

مسرور ([لـ] دعد): الآن أبشري بالفرج والأمان التام؛ لأن هذا الدرويش عند الخليفة مسموع الكلام، عجبًا من أين تعرفين هذا الإنسان؟ هل من مدة مديدة من الزمان؟

دعد ([لـ] مسرور): هذا كان يتردَّد على رجل من معارفنا يُسمَّى أبا الحسن، ومعه درويش آخَر أعظم منه يقول إنه من بلاد اليمن.

مسرور ([لـ] دعد): صحيح، وأخبرنا أنَّ رفيقَه باقٍ مع أبي الحسن على الدجلة، وأنه هو سيعود إليهما ليكملوا هذا اليوم في الحقلة، وأنهم بهذه العشية حيث الحاجَّة مزمعة أن تأتي من السفر ... (ملتفتًا نحو الباب) الْزَمِي الاحتشام وكوني على حذر، فهذا وزير، صاحب قدر خطير، ومعلومك أن الوزراء ينبغي الخضوع لديهم.

دعد ([لـ] مسرور): صدقتَ، وإن أنصَفوا نَدْعِي لهم، وإن جارُوا نَدْعِي عليهم.

الجزء الخامس عشر

(مسرور، دعد، عرقوب)

عرقوب (لذاته):

بمعجزاتك بعد الله آمنَّا (١٥) وقد أطعنا وسلَّمنا فآمنَّا
لا تعتب المبتلى بالعشق إن جنَّا حسام لحظك مسلولٌ لسفك دمي
فأرهَبَ الثقلين الإنس والجنَّا

* * *

ما أرق هذه المواليا والأشعار! وما ألطف هذه النوادر والأخبار!

(ينظر متأمِّلًا في كراس يكون بيده حين دخوله.)

دعد ([لـ] مسرور): هذا شيخٌ كبير، وأراه ينشد المواليا كالشاب الصغير.
مسرور ([لـ] دعد): هو طبعه هكذا يحب المزاح، ويهوى الانبساط والانشراح، ولكنه رجل تقي، وقلبه طاهر نقي (عرقوب بعد القراءة يلتفت إلى مسرور).
عرقوب ([لـ] مسرور): يا مسرور، هذه دعد التي صدر الأمر بطلبها؟
مسرور ([لـ] عرقوب): نعم.
عرقوب ([لـ] مسرور): لي معها كلام سِرِّي، وهو حسب مرغوبها وأربها، وحيث إني رجل كامل ومسنٌّ، فمهما حدثْتُها لا ترتاب مني كما أظنُّ.

الجزء السادس عشر

(مسرور، دعد، عرقوب، جعفر، جوقة)

جوقة ([لـ] جعفر):

وزعـنـا الأوامـر ضد المعلومين (١٦)
وسـعـيـدٌ حـاضـر لـلأمـر رهـيـن
واقـفٌ فـي البـاب طـوع الـجـواب

* * *

جعفر ([لـ] الجميع): عما يخص الإمام طه والأربعة الأشخاص، فليس لهم من القصاص مناص، وأمَّا عمَّا يخص قصاص سعيد وطلب دعد، فقد تغيَّرت الإرادة الملوكية عن ذاك القصد. والآن بعدما قدمت الاسترحامات الخصوصية، عادت توجَّهت على هذا المنوال الأوامر السنية، وهي هذه: أنَّ سعيدًا يتزوَّج بدعد، وعثمان يتزوَّج بسلمى في هذا اليوم، وما عليهم بذلك لوم، وهو ذا خطٌّ شريف (يعطي ورقة لدعد فتأخُذُها وتقبِّلها) مع أربع صُرر، لكلٍّ واحدٍ منهم ألف دينار، إنعامًا من دولته ليدعوا له بالدوام والاستمرار (يدفع لدعد الصُّرَر وعرقوب بعياقة يريد أن يَقْبِضَها متشبِّثًا بجعفر غير أنَّ دعد تعود تقبضها).

الجميع (لذاتهم):

احـفـظ يـا كـريـم دولة العباس (١٧)
واجـعـلـهـم يـدومـوا رحـمـةً لـلـنـاس
وامـنـح الـرشـيـدا عـمـرًا مـديـدا

* * *

جعفر ([لـ] عرقوب): عرقوب لماذا وقفتُك هنا؟ أما خفتَ من أن تعرفك دعد؟
عرقوب ([لـ] جعفر): من أين تعرفني وأنا حاصل على هذا المجد؟

الجزء السابع عشر

(دعد، عرقوب)

عرقوب (لذاته): لازم أن أمازحها وأظهر غرامًا لديها، والأكياس التي قفشتْها لا بد من أن أقاسمها عليها.
عرقوب ([لـ] دعد):

يا بنتُ صبرًا كي أرى أحوالكِ (١٨)

دعد ([لـ] عرقوب):

طوعًا لكم

عرقوب ([لـ] دعد):

هلَّا تُريني جمالكِ؟
فالشوق أوهى جسمي والعشق أبرى عظمي

* * *

ارفعي قليلًا هذا النقاب؛ لننظر الشمس الملتحفة بالسحاب.

قاتِلِي لَمَّا تثنَّى سافرًا لاح آسٌ فوق غصنٍ ينعطف
قال هل يوجد شبهٌ لعذا ري وقدِّي؟ قلتُ: لامٌ وألف

دعد ([لـ] عرقوب): أنا فقيرة، وبنت حقيرة، وأنت من الكبراء ذوي المقامات، وعندك جملة سراري جميلات، فلا أستحق الانعطاف من سعادتك، ولا هكذا أفعال تصلح أن تكون من عادتك.

عرقوب ([لـ] دعد): وهل الذي يكون عنده سراري بهيات، لا يسوغ له أن يلتفت لغيرهن من البنات؟ أوما تحفظين المثل المحرَّر في الطُّروس: أنَّ الذي تملكه اليد تكرهه النفوس؟ والحاصل أنا مفتونٌ بوَرْدِ خدَّيْكِ، ومجروح بسيفِ لحظَيْكِ.

دعد ([لـ] عرقوب): ما كنتُ أظنُّ أنَّ الكُبَراء يتنازلون بهذا المقدار، ويُظهِرون غرامَهم بغير اصطبار.

عرقوب ([لـ] دعد): أنا لستُ من الكبراء، ولا من الأمراء، بل إني رجل أكل خ... خبز دُرا، بل إني مفتونٌ وأسير وعبد لجلالك (يهجم فتُعرِض عنه).

دعد ([لـ] عرقوب): استغفر الله، أنت السيد المالك.

عرقوب ([لـ] دعد): هكذا تستنكفين مني كأني جربان، أو كأني من مردة الجان، مسكين العاشق الولهان. (ويتكئ.)

دعد (لذاتها):

العشق حقيقةٌ مزيل الفخرِ قد صيَّر هذا الشخص خالي القدرِ
حتامَ أُجلُّه فأوهى صبري فلنهزَ به إذن لأشفي قهري

دعد ([لـ] عرقوب):

قم يا حبيبي لا تُؤاخِذْ أَمَتَكْ (١٩) فأنا لجهلي ما عرَفْتُ كرامَتَكْ
والآن عقلي جاني أرضاك من خِلَّاني

* * *

عرقوب ([لـ] دعد): ها الآن صدري انشرح، وزال عني الغم والتَّرَح، فأنا لستُ كما قلت فقط إني من خلَّانك وأصدقاك، بل من جملة أسراك (يهجم عليها فتعرض عنه).

دعد ([لـ] عرقوب): ابقَ في مكانك، ولا تمزح إلَّا بلسانك ... والنهاية أرجوك أن تخبرني عن قصدك أيها الشهم الشهير؛ لأنني مستعجلة وعندي شغل مهم كثير، وأود أن أتوجَّه بغير تأخير.

عرقوب ([لـ] دعد): قصدي ... قصدي ... أخاف من غضبك بعد صلحك.

دعد (لذاتها): وصلْنا إلى التي تُضْحِك.

عرقوب ([لـ] دعد): قصدي أن أعطيكِ هديةً جزيلة الثمن (يفتش في جيبه بمعزلٍ).

دعد (لذاتها): يا ناس، هذا الشخص يُشْبِه عرقوب خادم أبي الحسن، هيئته تشبه هيئته، ولحيته تشبه لحيته، جل الصانع الفرد الصمد، فهو الذي لم يكن له شبيهًا ولا كفوًا أحد.

دعد ([لـ] عرقوب): يكفي تفتِّش وتتعب بغير فايدة؛ فأنا لا أقبل هدية كلمة واحدة.

عرقوب (لذاته): هدايا تقبلين ما عندي غير المرس والصابون؛ لكي تشنقيني إن خلصت بالأربعة آلاف دينار يا بنت الملعون.

عرقوب ([لـ] دعد): لا يمكن ألَّا تقبليها مني، يا جارحة الحشا بسيف الجفن، إني رجلٌ أسير هذا الحسنِ.

دعد ([لـ] عرقوبَ):

... ... ابعدْ عني ولا تخيِّب ظني

عرقوب ([لـ] دعد): لم تزالي تحتقريني، وبأمر الكلام توبِّخيني؟

دعد ([لـ] عرقوب): أنت تجسِّرني لأحتقرك، وبيدك تُخفِض قدْرَك، ألا تعلم أنَّ العشقَ عَيْب، خصوصًا لَمن كان مثْلَك مشتَعِلَ اللِّحْيةِ من الشَّيْب؟ (تكاد تقبض على لحيته.)

عرقوب (لذاته): إن كان الشيب عذولي، ويمنعني عن نوال مأمولي

فعندي دواءٌ يجعل الشعر أسودًا ولو كان مبيضًّا كريش نعامِ
رويدًا سأطلي منه لحيتي عاجلًا لكي تنظريني يافعًا كغلامِ

دعد ([لـ] عرقوب): إن فعلتَ ذلك تغش نفسك فقط، ولكن الناس يعرفون أن فعلك غلط.

عرقوب ([لـ] دعد): لهذا الحد تزيدين كلامك؟ بعد قليل تعرفين مقامك ... (يروح ويرجع) أي شيء، سمعتكِ تشتميني، اشهدوا عليها سبَّتْ لي دِيني.

دعد ([لـ] عرقوب): أنا أنا؟!
دعد (لذاتها): يا رباه! (خايفة.)
دعد ([لـ] عرقوب): معاذ الله.
عرقوب ([لـ] دعد): تقولين: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا قبيحة؟!

(ويذهب.)

دعد ([لـ] عرقوب): سيدي أرجوك صفو الخاطر الكريم.
عرقوب ([لـ] دعد): لا يمكن أن أرضى عنك؛ لأن ذنبك عظيم (ويرجع لنحوها).
دعد ([لـ] عرقوب): بحياة راسك احلم عليَّ ولا تتمرمر.
عرقوب ([لـ] دعد): لا يمكن مطلقًا، نفذ المقدَّر (ويتقدَّم دايمًا راجعًا لنحوها).
دعد ([لـ] عرقوب): رضا المتعنِّت صعب؛ فما باليد حيلة.
دعد (لذاتها): يقتضي أن أذهب إلى سعيد لأنه يكون رأى المدة طويلة ...
عرقوب ([لـ] دعد): اصبري يا بنت، كيف العمل؟ لولا الخطأ لم يكن العفو والسماح، فأنا عفوتُ عنك، وغفرتُ لك هذا الجُناح، هاتي حلوان الاصطلاح، أين الأكياس التي قبضتيها؟ أريني إياها.
دعد (لذاتها): ها ها، أين الأكياس؟ أريني إياها.
دعد ([لـ] عرقوب): كيف قلتَ؟ نفذ المقدَّر، لا يمكن مطلقًا، ما فهمتُ هذه الجملة، كيف كيف أَفْهِمْني معناها.
عرقوب ([لـ] دعد): ما لنا وهذا الكلام؟ أنا عفوتُ عنكِ والسلام.
دعد ([لـ] عرقوب): لا لا، أنت شتمْتَني بقولك إني قبيحة.
عرقوب ([لـ] دعد): سبحان الله! أنت تدقِّقين على هكذا جمل غير فصيحة.
دعد ([لـ] عرقوب): لا لا، أنتَ شتمْتَنِي كفى لهذا الحد.
عرقوب ([لـ] دعد): هذا بلسان الهزل لا بلسان الجد.
دعد ([لـ] عرقوب): والجد كيف يكون؟
عرقوب ([لـ] دعد): الجد أني بكِ مفتون (يهجم عليها فتدفعه فيتَّكِي على المقعد متغاميًا).
عرقوب (لذاته): آه آه! بحب المولى.
دعد (لذاتها): هذا شي ما له نهاية؛ فالرحيل أولى.

الجزء الثامن عشر

(عرقوب، مسرور)

مسرور (لذاته): يقتضي أن أُخبِر إسحاق وعرقوب عن تخفِّي أبي الحسن وأعلمهما إرادة أمير المؤمنين.

عرقوب ([لـ] مسرور): مقبول منكِ يا حبيبة القلب، افعلي كما تريدين، (يقوم ليصافح دعد مُظِنًّا أنها باقية فلا يرى غير مسرور) أعوذ بالله من الشياطين (يحوِّل وجهَه ويَبْقَى مرتعِشًا).

مسرور ([لـ] عرقوب): عرقوب، استعذ بالله، ما بالك مثل المجانين؟

عرقوب (لذاته): استعذتُ بالله من حين رأيتُك.

مسرور ([لـ] عرقوب): اصبر لأعلمك بأي رسالةٍ أتيتُك.

عرقوب ([لـ] مسرور): اشرح لي ما حصل جوًّا من الأول للآخِر، فأنا ما دريتُ بشيء من الذي صاير؛ لأني حين ذهبتُ إليك كما علمني محمود النديم، جعلتني بمخدع كمحبوس أثيم، وبقيتُ وحدي لحين خروجِك من دار الحريم، فأتيتُ بصحبتك إلى هذا الإيوان.

مسرور ([لـ] عرقوب): اسمع بما جرى وكان.

صدرت مراسيم الأمير الكاذبِ (٢٠) بقصاص أربعةٍ وطه الغاصبِ
وحضور دعدٍ مع سعيدٍ مؤملَا بزواج تلك ونفي ذاك معجَّلَا
وأنا ذهبتُ لقَضْيها إذْ أُقرِنتْ برضى أمير المؤمنين وأُعلِنتْ

* * *

عرقوب (لذاته): آه! مصطفى النديم كان وَعَدني أن يُقابلني مع الملك الحقيقي هارون الرشيد، ولحد الآن لم أحصل على هذا الحظ السعيد.

عرقوب ([لـ] مسرور): ما علينا، وماذا صار بعد ذلك؟ شرِّفني بإيضاحه.

مسرور ([لـ] عرقوب): صار أنَّ الخليفة الوقتي زاد في طربه وانشراحه، فتعلَّقتْ عليه سُرِّيَّة، تُسمَّى هند الحجازية، وأخذتْ تُعاتِبه لكونه يفضِّل دعد عليها، وتتَّهمه بأنه لا يَميل إليها، وما زالتْ عليه حتى أَلْزَمَتْه بأن يعطي الأوامر التي أتى بها.

عرقوب ([لـ] مسرور): ها ها، فهمتُ فهمتُ، هذه الأوامر التي أتى بها محمود النديم، فهمتُ أصل أسبابها ... ومصطفى النديم أخبرني، أما هو عنده.

مسرور ([لـ] عرقوب): آه آه آه (ضاحكًا)، وجعله الآن أن يتخفَّى بزيِّ النِّسا ويطلب الهرب وحده؛ لأنه ازداد على معلمك الخوف والإقلاق، بقوله إن عساكر العجم واردة إلى العراق ... والقصة طويلة، تعالَ معي لأخبرها لك ولإسحاق؛ لأن البوَّاب له هنا أيضًا مدخل عظيم (يلتفت نحو الباب الذي يدخل منه أبو الحسن).

مسرور (لذاته): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

مسرور ([لـ] عرقوب): ها هو معلِّمك جاري، في زي السَّراري، فما بقي معنا وقت لتتميم الحيلة.

عرقوب ([لـ] مسرور): أنا فهمتُ المقصود؛ لأني أفهم بألفاظ قليلة، فأنت رح بلِّغ إسحاق البوَّاب اللازم، وأنا أُمسك معلمي هنا مدة طويلة.

الجزء التاسع عشر

(عرقوب، أبو الحسن)

(أبو الحسن يَظهَر بأثواب الخليفة التي كان لابسها، كما هي مضيفًا إليها اتِّزاره بإزار مقلَّدًا النسا.)

عرقوب (لذاته): ارتعْ يا معلِّمي، ارتعْ في هذا النعيم، واطرَبْ في عزٍّ غير مستديم، فحدودك من المماليك والسَّراري السمع والنظر، ومن المُلْك والحكم لحدِّ هذه العشية حين رجوع الحاجَّة من السفر، فإنْ كنتَ ذا عقل وبصيرة، احذر على المائدة من الأفيون في الكاس الأخيرة (أبو الحسن في مدة كلام عرقوب يتأمَّل في أمتعة المحل).

أبو الحسن (لذاته):

يا ناسُ حيفٌ أن أُفارِقَ أرْبُعي (٢١) وأعيفها بعد السنين الأربعِ
حيفٌ فراقي مليكي لله أمري أشكي

* * *

كيف العمل؟ بغير هذه الحيلة لا أحصل على المرام، ولا أتخلَّص من حرب الأعجام. لا آسَفُ على الخلافة، يكفاني المال الذي آخذُه معي؛ لأنَّه يكفيني لحين حلولي في مضجعي، حيَّاك الله يا دادا مصطفى، فهذا الرأيُ سديدٌ وفيه الشِّفا؛ لأنني إذا لم أتخفَّ فلا أقدر على إقالة المملكة، بل تُلْزِمني الرعيَّةُ لأبقى في الخلافة وأقع في التهلُكة (عرقوب يستَرِقُ ويرفع النِّقاب عن وجْه أبي الحسن فينظر إليه ويَبقَى نقابُه مرفوعًا لحدِّ آخِر هذا الجزء).

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): جعفرُ، أين اختفيتَ؟ أنا سألتُ عنك جملة أمرار، فقدَّموا لي عنك بعض أعذار.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): أنا كنتُ مشغولًا، بعتُ بيعة براس المال.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): ما هي هذه البيعة؟ احكِ لي عنها بالحال.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): اتفقتُ مع محمود النديم؛ دادا محمود.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): دادا محمود، محمود النديم!

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): هذا هو صاحبنا القديم، ولكن الآن أنا سمَّيْتُه نديمًا وبعتُه وزارتي.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): صحيح، دبِّر لي زبونًا لأبيعه أنا أيضًا خلافتي.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): عظيم، ولكن هذا البيع والشِّرا يشترط فيهما نقض الحساب والرجوع.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): لا لا، أنا لا أبيع هكذا بيعة، ولو متُّ من الجوع.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): ما علينا، لا نضيع الوقت، أنا أعلم لأيِّ سبب أنت تخفَّيْتَ، فاذهب سريعًا وأنا سأتبعك بالحال إلى البيت ... (يهم أبو الحسن أن يتوجَّه) اصبر قليلًا إن الخليفة يصير عليه تدقيق في وقت الحروب والأكدار؛ ليلًا يأخذ جانبًا من المال.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): ما صار قصور.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): ويتخفَّى ويطلب الفرار، فاحذر من إسحاق البوَّاب على الباب.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): من أين عاد وُجد هذا الإسحاق البوَّاب؟! أنت قلت إنه كان في الرؤيا فالآن كيف فتق الحساب؟

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): هبْ أنها رؤيا مجازية، ألَا يمكن تنقلب حقيقية، كما جرى مثل ذلك على ذاتك من مدة أربع سنين؟

أبو الحسن (لذاته): صدقتَ، هذا هو الحق المبين، كل شي قابل التغيير، وإن الله على كل شيءٍ قدير.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): على أيِّ وجهٍ كان ما فيه بأس كيفما أتى يأتي، بحيث إني أرى إسحاق مرةً ثانية في حياتي؛ لأن هذا الغلام حين نظرتُه أخذ بمجامع كبدي، كأنَّه والدي أو ولدي.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): رجعنا إلى غلامي وولدي وأكل الكنافة، ألا تعلم أن هذه العادة الردية هي سخافة؟ ... ما علينا، فإنْ سألك إسحاق: مَن أنت كيف تجيب؟

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): أعلمه بقصتي على الترتيب.

عرقوب (لذاته): ما أحسن هذا الرأيَ المصيب!

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): ألَا تعلم بأنك إنْ أخبرتَه بجليَّة الخبر، يصير مجبورًا لأن يقبض عليك ويتسبَّب لك الكدر؟!

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): فإذن أقول له إني إحدى الجواري، كما علَّمني دادا مصطفى والسراري.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): نعم هكذا، ولكن ينبغي أن تتقلَّد صوت النسا؛ ليلَّا تقع في الهوان والأسى.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): وهل مثلي يعصاه شي؟! فأنا أفعل كما أريد؛ لأن الرشاقة تُطِيعني مثل العَبيد.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): امشِ إذن بعد خطوات، وتكلَّم بعض كلمات؛ لأطمئنَّ إذا كنتَ تقدر تَخفَى على إسحاق، ولا يعرفك بوجه الإطلاق.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): ها أنا ذا (يمشي وعرقوب يتقلَّده)، انظر خطواتي وانتبه جيدًا إلى حركاتي، وإن سألني البوَّاب عن شاني، فأجيبه قايلًا بصوت نسواني (يرقِّق صوته)

أنا من جواري أمير المؤمنين، وأُرِيد التوجُّه لأتنزَّه بأحد البساتين.

الآن طـاب فـؤادي جـيـدًا وارتاح فكري من الوسواس
فصار يحتاج أن أسعى إلى تـدارك الـجـوقـة الـحـراسِ

(أبو الحسن يُرخِي النقاب ويتمشَّى رايدًا الخروج.)

الجزء العشرون

(أبو الحسن، إسحاق)

إسحاق (لذاته):

قد هزَّ أشواقي رقيقُ هبوبها (٢٢) وأهاج وجدي نفحةٌ من طِيبِها

أبو الحسن (لذاته): هذا إسحاق الظريف المعتبر، الذي تارةً يختَفِي وتارةً يظهر.

إسحاق (لذاته):

مَن هذه المحبوبة؟ فأظنُّها المطلوبة (٢٣)

من تُرى يكون هذا الشخص الذي أراه؟ بسم الله، وما شاء الله!

أبو الحسن ([لـ] إسحاق) (بصوت رقيق مقلدًا صوت النسا): وحياتك يا صاحب الصورة اللطيفة، أنا ما أنا الخليفة.

إسحاق ([لـ] أبو الحسن): ومَن اتَّهَمَكِ بذلك، يا زينة الممالك؟ فأخْبريني إذن أنتِ مَن تكونين من البنات الأبكار؟ هل ضو النهار، أم ...؟

أبو الحسن ([لـ] إسحاق): إي نعم، ضو النهار.

إسحاق ([لـ] أبو الحسن): أمان أمان أمان! آه آه آه! هذا اليوم الذي كنتُ أتمنَّاه لأنني من مدةٍ يا ضو النهار نظرتُكِ نظرة، فأوْرَثْتْني ألف حسرة، وكنتُ أشتهي أن تكمل مسرَّاتي، وأنظرك نظرة ثانية قبل مماتي.

فعليكِ أن تشفي غرامَ متيَّمٍ (٢٤) جودي اكشفي عن وجهك المتبسِّمِ
مـا لـي فـدا عـيـنـيـكِ والـروح فـي كـفـيـكِ

* * *

ألا أستحق عندكِ سؤال ولا جواب؟ ... لا تآذنيني إن أرفع قليلًا هذا النقاب؟! (يتقدَّم ليرفع النقاب فيُعرِض عنه.)

عـلامَ يـا نـور عـيـنـي منعتِ عني الكلام (٢٥)
آه يـا عـيـنـي رقِّـي لـصَـبٍّ كـلـيـم

فـأنت بـدري وعـيـنـي ومـنـيـتـي والـسـلام
آه يـا عـيـنـي جـودي بـوعـدٍ سـلـيـم
إن عِفْتُ صحبي وعيني لأجـلـك لا أُلام
آه يـا عـيـنـي فـالـعـشـق ضربٌ أليم

الجزء الحادي والعشرون

(أبو الحسن، إسحاق، جوقة)

(أبو الحسن حينما يرى الجوقة يستتر خلف إسحاق.)

جوقة ([لـ] إسحاق):

أيـن مـولانـا الـمـجـيـد صاحب الْمُلْك الوَطيد؟ (٢٦)
لـه الـطـعـام تـهـيَّـا فـي صـفـرةٍ كـالـثُّـريَّـا
وضـاحـيـات الْـمُـحَـيَّـا روَّقْـنَ كـاس الـحُـمَـيَّـا
والـزهـر انـتـثـر والـعـطـر انـتـشـر
والـنـاي انـتـظـر أسـمـا وسـعـدى ومـيَّـا

أبو الحسن (لذاته): قد هام قلبي لأوقات الصَّفا والتَّلاقِي (ويرفع البرقع ويشلح الإزار)، وحديث هؤلاء المماليك هيَّج أشواقي، فينبغي أن أرجع عن غيِّي وجهلي، وأضع رأسي في عقلي، ولا أترك هذه السعادة والدولة الزاهرة، ولو أنَّ ملوك الأكاسرة، تحاربني جملةً مع القياصرة.

جوقة ([لـ] إسحاق):

فـأخـبـر أيـن مـر مشمول الظفر (٢٧)

إسحاق ([لـ] جوقة):

ما عندي خبر، ما مرَّ مرءٌ عليَّا

أبو الحسن ([لـ] جوقة):

هـا حـضـرتـي فـأخـبـرونـي عن قصدكم باختصار (٢٨)

جوقة أبو الحسن: قد مُدَّ الطعام، وراق كاس الْمُدام.

(إسحاق حينما يرى أبا الحسن يتصنَّع كأنه مُنْذهل وخايف، ويفتِّش ها هنا وهنا، كأنه يفتِّش على ضو النهار.)

إسحاق (لذاته):

وا دهشتي! وا جنوني! فأين ضو النهار؟
هيفاء القوام قد أوحشتْ ذا المقام

أبو الحسن ([لـ] إسحاق):

لو لم تكن كعيوني لذقتَ منِّي الدمار
عن هذا الهيام في قصر دار السلام

إسحاق ([لـ] أبو الحسن):

ما عبدكم بخئون لكن خشيتُ اغبرار
مولانا الهمام لفقدها كالمنام
كانتْ خرجتْ سِرًّا بغير الأمرِ (٢٩) للَّهْو، فقد أمسكتُها بالقهرِ
والآن لنحسي لا تُرى في القصرِ إن طال غيابها يقصر عذري

إسحاق (لذاته): اختفت آثارُها (٣٠) (يرى الإزار في الأرض فيتناوله بتعجُّب كلي.)

هو ذا إزارها يا تُرى أين نأتْ أقمارها

أبو الحسن ([لـ] إسحاق):

حضرتي أمرتُها أن تتوارَى بالسحاب

الجوقة (لذاتهم):

عذرها حقًّا مبينٌ، ما عليها من عتاب

أبو الحسن ([لـ] للجميع):

هكذا أمري اقتضى

الجميع ([لـ] أبو الحسن):

مَـن تـرى مـعـتـرضـا كل ما تأمر فيه مرتضى

أبو الحسن ([لـ] للجميع):

اتركوا هذا الكلاما ولنبادر للطعام (٣١)
حيثما نبري السقاما

الجميع (لذاتهم):

... ... بـيـن أربـاب الـغـرام
مـع بـنـاتٍ تـتـسـامـى في جمالٍ وابتسام ...

(يصير سكتة قليلة من الجمهور كما يقتضي اللحن.)

هند أسما ثم لبنى تمزج الراح العقيق

(أبو الحسن يتأهَّب للذهاب قابضًا على يد إسحاق.)

أبو الحسن ([لـ] الجميع):

وكذا إسحاق معنا يشرب الخمر العتيق

الفصل الثالث

الجزء الأول

(دعد، سعيد)

دعد ([لـ] سعيد): الصواب أن نُخبر أمك الحاجَّة عن زواجنا؛ لعلَّها تُصْلِحنا مع أخيك ونستريح من خصامنا وانزعاجنا.

سعيد ([لـ] دعد): آه، أمي الحاجَّة في مخدعها مملوة لنحونا من الغيظ والمقت؛ لأنها وصلتْ من ثلاث ساعات ولم تَرَ سلمى لحدِّ هذا الوقت، وإذْ كنتُ عندها عاتبتْني؛ لأنه لم يتوجَّه منَّا أحد ليستقْبِلَها ... عذْرنا واضح، ما كان معنا وقت لكي نعلِّلها ... أنا وعثمان كلٌّ منَّا كان اليوم مهتمًّا بتكتيب كتابه، وأخي من أول أمس توجَّه للدجلة، ولحدِّ الآن لم يتيسَّر رجوع جنابه؛ فلذلك يجب علينا الآن، أن نتَّخِذ الكتمان؛ لأنها الآن محزونة بالحقيق، ومتفائلة من منام أبصرتْه في الطريق.

دعد ([لـ] سعيد): هي أخبرتْني عنه إذْ كنتُ عندها في العِلِّيَّة، وقالتْ لي إن الشيخ حسين عبد الجليل فسَّره لها بألفاظ جليَّة، ثم قالتْ لي إن هذا الشيخ قد توجَّه لمقابلتها في الطريق وأبدى نحوها المعروف والوداد، فمَن هو هذا الشيخ الذي اجتهد هذا الاجتهاد؟

سعيد ([لـ] دعد): غير مؤذِّن جعفر، لا أعرف أحدًا يُدعَى بهذا الاسم في بغداد، ولكن هذا ماذا يعنيه ليكلِّف خاطرَه إلى كذا مواد.

الجزء الثاني

(دعد، سعيد، الحاجَّة)

حاجَّة (للاثنين):

لم ترجعا مذْ غبتُما من عندي
بل رحتما وحسرتي في وجدي
تركتماني في همومي وحدي
أهكذا حق الوفا والعهدِ
وملتقى الغيَّاب بعد البُعدِ

حاجَّة ([لـ] سعيد): أي سعيد، أعلمني أي شي جرى لكم، وماذا أشغل بالكم؟
سعيد ([لـ] حاجَّة): وحياتك يا أماه ... ماه ... ماه ...
حاجَّة (بذاتها): لا حول ولا قوة إلَّا بالله، قلبي راجف؛ ليلًا يكون يأتي على سلمى شي، ويكون أبوها لأجلها حصل في العيِّ والغي.
حاجَّة ([لـ] دعد): أنت يا جارتي دعد أخبريني: أين رفيقتك سلمى؟ أعلميني.
دعد ([لـ] حاجَّة): سلمى آ... (محتارة بأمرها لا تعلم كيف وماذا تجيب.)
حاجَّة ([لـ] دعد): آ... (متقلِّدة لها.)
حاجَّة ([لـ] سعيد): أنت احكِ لي يا ابني سعيد.
سعيد ([لـ] حاجَّة): سلمى آ... (مثل دعد).
حاجَّة ([لـ] سعيد): أنت أيضًا سلمى أَ أَ أَ، ماذا أصابك؟
سعيد ([لـ] حاجَّة): صدقتِ أكيد.
حاجَّة ([لـ] دعد): والنهاية؟
حاجَّة ([لـ] سعيد): والنهاية؟
دعد ([لـ] حاجَّة): صحيح صحيح.
حاجَّة ([لـ] دعد): صحيح صحيح! ما هو سبب عدم تكلمكما بالصريح؟
دعد ([لـ] حاجَّة): نعم ... لا لا.
حاجَّة ([لـ] سعيد): وأنت كيف رأيك؟ ... نعم، لا لا؟
سعيد ([لـ] حاجَّة): نعم ... لا لا.
حاجَّة (للاثنين): اختزيا من وجهي حالًا.

الجزء الثالث

(الحاجَّة)

الحاجَّة (بذاتها): على أي شيء يلزمني أن أتكبَّد الغمَّ والحزن؟ هل على جنون ابني أبي الحسن، أم على ابني سعيد الذي ارتبط منه اللسان؟ أم على سلمى (تلتفت نحو الباب)، ها هي سلمى آتية مع عثمان، آه يا ناكرة الإحسان! لا بد أن أعرِّفك مقدار جهلك، أنتِ لم تسألي عني وأنا ذاب قلبي لأجلك.

الجزء الرابع

(الحاجَّة، عثمان، سلمى)

الاثنان ([لـ] الحاجَّة): أهلًا بالغُيَّاب، من بعد الهجران عادوا للأوطان. (١)

(سلمى تتقدَّم للحاجَّة فتدفعها.)

حاجَّة ([لـ] سلمى):

قولي لي أسباب إنكار الإحسان

حاجَّة (بذاتها):

قُتل الإنسان!

الاثنان (لذاتهما):

عرفت ما كان

عثمان ([لـ] حاجَّة): ماذا جرى عليكِ يا حاجَّة؟ أعلميني.
سلمى ([لـ] حاجَّة): ماذا أصابكِ يا جدتي أخبريني، لطِّفي خلقك الله يُبْقِيك.
حاجَّة ([لـ] سلمى): كأنكم تجهلون ذنوبكم كلكم، وتجهلين الذي جرى على أبيكِ. آه!
عثمان ([لـ] سلمى): كنَّا مؤملين بالحاجَّة أن تنصرنا وتعذرنا، فوجدناها معولة على أن تهجرنا وتغدرنا.
حاجَّة (بذاتها): آهًا على طالعي التعيس المذل! فقد لبسنا ثوب العار والذل.

سلمى ([لـ] حاجَّة): لا يذهلنَّك يا جدتي العجب، فلا بد لكل شانٍ من سبب، سنعلمك عن كل شي بالتدقيق، بعد أن تكوني أخذتِ الراحة من مشقة الطريق.

حاجَّة ([لـ] عثمان): اشرح لي أنت يا جار، اشرح لي كل ما صار.

عثمان ([لـ] حاجَّة): عمَّا صار ... الذي صار ... أما تريدين أن أشرح لك ما صار؟ ... نعم أكيد.

حاجَّة (بذاتها): هذه من مدرسة دعد وسعيد.

حاجَّة ([لـ] سلمى): وأنتِ ماذا تقولين؟ نعم أكيد.

سلمى ([لـ] حاجَّة): نعم.

حاجَّة (بذاتها): يا ربي، خفِّف عني الألم.

حاجَّة ([لـ] سلمى): أظن أنكم جُنيتم كلكم.

سلمى ([لـ] حاجَّة): نعم.

حاجَّة ([لـ] عثمان): وأنت كذلك يا عثمان؟

عثمان ([لـ] حاجَّة): نعم.

حاجَّة (للاثنين): يا لله، ادخلا البيمارستان (وتدفعهما إلى المحل الذي دخله دعد وسعيد).

الجزء الخامس

(الحاجَّة)

حاجَّة (بذاتها):

ما احتيالي إنَّ صبري وَهَى ... ليتَ شِعْري ما أصاب الجميع؟
لا أرى شيئًا على حالِهِ ... فأجبني راحمًا يا سميع
فلنجرب ربما زال من ... خاطر ابني ذا المنام الفظيع

(تَرفع ستارًا عن زاوية المرسح فيظهر أبو الحسن نايمًا بأثوابه التي كان بها بالفصل الأول، وهو يخط في نومه، فتُومي بيدها نحو الباب الذي دخلتْ منه دعد.)

الجزء السادس

(الحاجَّة، أبو الحسن، دعد)

حاجَّة ([لـ] دعد): يا دعد، أنا أعهدك عاقلة، فانتَبِهي لي قليلًا لا تكوني جاهلة، حبيبتي يا جارة أخبريني ماذا جرى على ابني أبي الحسن، وأريحي ضميري من الهم والمحن.

دعد ([لـ] حاجَّة): هو لم يَزَلْ مع الدراويش في نعمٍ وافية.

(ولا تنظر أبا الحسن.)

حاجَّة ([لـ] دعد): في نعمٍ وافية؟! ومَن هو هذا النايم في هذه الزاوية؟

(دعد ترتعش.)

دعد ([لـ] حاجَّة): وحياتكِ، الآن حتى نظرتُه.

حاجَّة ([لـ] دعد): ويلك، أنا من حين وصولي أبصرتُه، وبعدما سمعتُه يُحدِّث بالمُحال، أرخيتُ عليه الستار لأطَّلِع منكم على حقيقة الحال.

دعد ([لـ] حاجَّة): الظاهر أنه أتى حينما كنَّ...

حاجَّة ([لـ] دعد): الظاهر سكنتم الجنَّ ...

حاجَّة (بذاتها):

يـا رب يـا جـبَّـار بالمصطفى المختار (٢) ... ...
أزل هـمـومـي وأجـلِ غـمـومـي بـكـشـف ذي الأسـرار

* * *

أبو الحسن (لذاته):

حان حين الكاس والطاس على (بصوت عالٍ)
نـغـم الـعـيـدان والألـحـان حـان
هـنـدُ أسـمـا يـا سـلـيـمـى بـادري
صـبـر هـذا الـمـغـرم الـغـلـبـان بـان

حاجَّة ([لـ] دعد):

اسمعي يا جارتي الحدث الذي هو ضربٌ ليس في الإمكان كان

أكدي إلَّم توضِّحي لي حقيقة الخبر فما أنا إلَّا هاجَّة.
دعد ([لـ] حاجَّة): وحياتك يا حاجَّة ...
أبو الحسن (لذاته):

عزَّ منكنَّ جوابي مثلما دمعُ هذا العاشق الولهان هان

حاجَّة ([لـ] دعد): ادركيني يا حبيبتي بالإفادة لنستدعي له الحكيم بهرام؛ لأنه صار نصف الليل فيجب أن نعجل بطلب الحكيم المذكور قبلما ينام.
دعد ([لـ] حاجَّة):

إنما لابنك إذْ رافَقَه لرُبا الدِّجْلة درويشان شان
راح يلهو معهما والراح من دأبه للعقل والجثمان مان
ربما عاد مصابًا من جرى طوفِه في البرِّ والهيجان جان

حاجَّة ([لـ] دعد): وا قهراه! الدرويشان هما في القاعة الكبيرة، وفي كل برهةٍ يستشرفاننا من الطاقة الصغيرة، فلقد تأوَّل المنام الذي قلتُ لك إنه فسَّره لي الشيخ حسين؛ لأنه قال لي بأن ابني يحكم بغداد مدة يوم أو يومين، وأنه بعد ذلك يُعزَل من درويشين، وأنَّ الأشياء التي يراها بما أنها تفوق العقل والنقل، فيمكن أن ينتهي أمره إلى تزعزع العقل. فهو ذا تأوَّل التفسير، ولم يصدُق منه غير الجزء الأخير.
دعد ([لـ] حاجَّة): الرأيُ عندي أن تتركيه يتنعَّم بهذه المنامات اللذيذة، وإن شئتِ خصمها فعلِّقي في عنقه التعويذة.
حاجَّة ([لـ] دعد): هذه كل راياتك؟! أعتقيني بحياتك، (تدفعها) ادخلي هذا المخدع بمعزلٍ عن سعيد وعثمان؛ لأسألهما بانفرادٍ عما كان، وأجرِّب عسى يعطياني رأيًا مثل رأيك السديد، وتدبيرًا مثل تدبيرك الحميد (دعد تقف في زاوية).
أبو الحسن (لذاته): أين جعفر؟ أين أبو إسحاق النديم؟ أين أبو نواس؟ أين إسحاق البوَّاب والمماليك والحراس؟ تعالَوْا طوعًا لأمير المؤمنين، فأنا مَلِكُكم ناصر الدين.

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن): قم يا ابني سمِّ بسم الله وانتبه من هذا الوسن، فما أنت إلَّا أبو الحسن، أمَا اشتقت إليَّ؟ قم قبِّل يديَّ؛ لأقبِّل وجنتَيْك، وسلِّم عليَّ لأسلِّم عليك.

(أبو الحسن يخط في نومه.)

ما هذه الأحوال؟ زادتْ بي البلبال (٣)
ابني أُصيبا خبلًا غريبًا وأمره قد طال

* * *

أبو الحسن (لذاته): هذا صوت هند الحجازية، (يفتح عينيه) أفٍّ، من أين أتتْنا هذه الجنية؟ (يرجع ينام.)

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة):

إلَّم تكفِّي المَيْن؟ قسمتُكِ شطرين (٤)

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن):

قم يا ضياء العين قرَّبتَ مني الحَيْن

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة):

ماذا جرى لي؟ حالي يا مالي أين افتخاري أين؟

حاجَّة (بذاتها):

وا سوءَ حالي! قلَّ احتمالي وقعتُ في أمرين

* * *

حاجَّة (بذاتها): يا ربَّاه، إنْ لاطَفْتُه يزداد فيَّ طمَعُه، وإن عنَّفتُه يزداد اضطرابه ووجعُه.

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): يا حاجَّة، حبيبتي يا أمي، قولي لي الصحيح واكشفي عن غمي …

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن): حبيبي عيوني (تعانقه) ابني أما اشتقتَ إليَّ، ولا تريد أن تسلم عليَّ؟

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): يا ويلاه! يا ويلاه! الآن وقتُه، سبحان الله ... (يأخذها على جهة) كلِّميني.

أبو الحسن (لذاته): كلمك مرض (يشعر بوجود دعد) ها ها، ها هي هند.

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): اذهبي، ما بقي لي بكِ غرض. (الحاجَّة تقول: معلوم، ما بقي له بي غرض.)

أبو الحسن ([لـ] دعد): يا هند، أين بقية السراري والحشم والخدم؟

دعد ([لـ] أبو الحسن): الخدم والحشم؟! (متعجبة.)

أبو الحسن ([لـ] دعد): نعم الخدم والحشم (مستهزيًا بها).

دعد ([لـ] أبو الحسن): الخدم والحشم (منغمة هذه الجملة مرتين راقصة).

أبو الحسن ([لـ] دعد): الخدم والحشم. (منغمًا نظير دعد) هكذا تُجيبين الخليفة بجواب مهمل مكيد، مع أني لأجلك آذنتُ سلمى أن تتزوَّج بعثمان ودعد بسعيد، ولأجل رجاكِ سمحتُ عن ذنوبهم كلِّهم، وأمرتُ لهم بأربعة آلاف دينار صنديد.

(دعد تنفر منه إذْ يتقدَّم إليها.)

دعد (لذاتها): عرف القصة الملعون، لا شك أنه مسكون.

أبو الحسن ([لـ] دعد): هكذا تنفرين مني، وأنا لأجلك أُنشِد وأُغنِّي! قولي لي يا هند أي شي تأتَّى عليَّ عند العشا إذْ سكرنا على الطعام، هل أنت لعبتِ معي هذه اللعبة وألبستِني هذا الثوب الخام، أم الآن أنا نايم والأشيا التي ناظرها هي أضغاث أحلام؟ (وينظر إلى ثيابه مُزْدَرِيًا بها.)

دعد ([لـ] أبو الحسن): ما أنتَ إلَّا في بيتك، وما أنت إلَّا في انتباهٍ تام، سمِّ باسم الرحمن، واطرد عنك وساوس الشيطان.

أبو الحسن (لذاته): لا شك أني مسحور، أو دخل على عقلي أمرٌ من الأمور.

دعد (لذاتها):

شــيءٌ لــذيــذ يحلي النبيذ (٥)

(أبو الحسن يتصبَّب حين إنشادها ويتَّكِي.)

هذه غرور من الخمور

دعد ([لـ] حاجَّة):

فـابـقـي هـنـا أمـــا أنـــا قد دعاني النوم

(تريد تدخل للجهة الموجود فيها عثمان وسعيد وسلمى فتمنعها الحاجَّة.)

حاجَّة ([لـ] دعد):

لا لا، ارجعي عن مخدعي، ما عليكِ لوم

قصدي أقرر كل واحد منكم بمعزل؛ لألحق آخِر هذا المظهر المعرقل.

الجزء السابع

(الحاجَّة، أبو الحسن)

أبو الحسن (لذاته): آه يا هند الحجازية، آه على هذه الأنغام الشجية.

(يفتح عينيه فيرتعش.)

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): أين راحتْ هند؟ أين راحتْ غزالة السِّند والهند؟ فهي أشبه النسا بدعد بالحسن والجمال، وأشبه الناس بإسحاق بالحضور والانتقال. أعلميني أين راحتْ هند وخفِّفي عني الشجن، وأخبريني أمَا أنا مَلِك الزمن؟ (مغضبًا ومتهدِّدًا.)

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن): التي كانتْ هنا هذه جارتنا دعد، وأنت ما أنت إلَّا أبو الحسن.

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): أبو الحسن أبوكِ، أبو الحسن أنتِ وابنكِ وأخوكِ.

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن): أهل أنا سبيت الدين؟ يكفي تطوش مثل المجانين.

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): يا أمي، قولي لي أي متى حضرتِ؟ أنا سألتُ عنك فأجابوني أنك جاورتِ، فلماذا لم ترسلي لي خبرًا قبل وصولكِ؟ حتى كنتُ أرسلتُ لكِ زمرةَ دولتي لاستقبالكِ حين دخولكِ.

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن):

كفى بنيَّ نحن أحقر البشر
كيف اتصالنا إلى هذا القدر؟
دع عنك يا بنيَّ هذه الفِكَر
واسمع لأحكي لك قصة سمر
عمَّا جرى بالحج لي وبالسفر

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): دعي هذا لوقتٍ آخَر نبقى نتحدَّث فيه، أطلعيني الآن على باطن الأمر ولا تخفيه ... ويلك صدِّقيني، إني أنا الخليفة.

حاجَّة (بذاتها): سبحانك الله! كم تخلق من أصحاب العقول السخيفة!

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): أنا عقلي سخيف وأنت الفيلسوفة؟! أنا الحيوان وأنت الفصيحة؟! اصبري لأعلِّمك يا قبيحة (يهجم عليها ليضربها).

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن): آه آه! (باكية)، يا ابن الملاعين.

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): أما تقنعين بأني أمير المؤمنين؟! ... قولي لي بعد هذه القتلة أنا مَن أكون.

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن): أنت مُصاب من الجنِّ قليل العقل مجنون.

(تهرب الحاجَّة فيتبعها أبو الحسن طايفًا في أثرها المسرح ولا يُدْركها، ثم بعد ذلك تقف الحاجَّة وتلمس خدها وتنظر أناملها.)

آه آه! (باكية)، لقد آلَمْتَنِي وأحرَقْتَنِي، وأبكَيْتَنِي وعرَّقْتَنِي، فاحمرَّتْ عيوني، وسال الكحل من جفوني، و...

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): و... و... و... (مستهزيًا بها) إذا لم يكنِ الحُسْن موهوبًا من رب العالمين، فماذا يُفيد الكحل والاصطباغ والتحسين؟!

حاجَّة (بذاتها): ما شا الله! انفتح عقله، وصار يتكلَّم بالحِكَم وفصيح الكلام، عسى أن يتكذَّب الجزء الأخير ويتصدَّق الجزء الأول من المنام.

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): سامعك تحدِّثين ذاتك، فماذا تقولين؟ ها ها، تقولين إني لستُ أمير المؤمنين، ناوِليني هذه العصاة لأجمع على صراخِكِ أهل بغداد. اصبري لأعلِّمك ما هي نتيجة العناد، (يحوم ليأخذ العصا من الزاوية) يا ناس، هذه أمتعتي، كيف العمل؟ هذا بيتي أنا مستيقظ، لقد خاب الأمل (يلبث متأمِّلًا في أثاث بيته محتقرًا له).

حاجَّة (بذاتها):

واهًا لحال الوالِدِين ... كم يحملون من البنين
وعلى الخصوص بسقطهم ... في الخَطْب والأمْرِ الْمُهِين
يتكبَّدون دلالهم ... والجورَ حينًا بعد حين
إن لاطَفُوهم يَغْضَبوا ... لم يذكروا الْمَرْبَى الثمين
أو عاندوهم يجْتَرُوا ... للضربِ والشَّتْمِ الْمُهِين
هذا القضا فيه اقتضى ... أحكام رب العالمين
إن السعيد الحظ مَن ... يحوي البنين الصالحين

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن): حبيبي أبا الحسن، ارجع عن جهلك، ولا تَدَعِ الناس تضحك على عقلك؛ فضيوفك بعدُ مستيقظون، وأخاف أن يظنوا أنك مجنون.

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): ضيوفي؟ مَن هم هؤلاء الضيوف؟ ومِن أي الرُّتَب والصفوف؟ (يهي العصا ليَضْرِبها) اعجلي بالجواب يا بنت آوي، قبل أن يأتيك الكاوي (يرفع يده بالعصا).

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن): ترفَّقْ ترفَّقْ يا أمير المؤمنين، وحامِيَ حرمة الدِّين.

(أبو الحسن يتعظَّم.)

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): ها الآن اهتديتِ لمعرفة الأسرار، فلو كنتِ من البداية أقرَرْتِ هذا الإقرار، أمَا كنتِ وفَّرتِ عنك من القتل حمل حمار؟ ... فالآن أنا أيضًا في دوري أخبرك بالحقيقة والصواب: فالذين هناك ما هم ضيوف بل هم الحُجَّاب والنُّوَّاب.

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن): يعيش أمير المؤمنين يعيش، (مستهزية) وهل الحُجَّاب يتزيَّون في زيِّ الدراويش؟

أبو الحسن (لذاته): في زي الدروايش؟ وحياتي هؤلاء أصحابي.

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): اصبري لآتيك بالخبر، اجلسي هنا انتظري جنابي.

(الحاجه تتَّكِي حزينة.)

الجزء الثامن

(الحاجَّة، سعيد، عثمان)

عثمان ([لـ] سعيد): صدقتَ، إن الحاجَّة حردانة علينا كلنا، فأنا كنتُ أظن أنَّها علمتْ بزواجِنا فاغتاظتْ من فعلِنا، وإنما الآن تحققتُ منك سبب غيظها وانفعالها، وعلمتُ أنه من عدم توجُّهنا لاستقبالها.

الاثنان (لذاتهما):

كنا مؤمِّلين نحظى بالألْطاف منها والإنصاف (٦)
صرنا مؤيسين خالين الإسعاف من كل الأحلاف

* * *

عثمان ([لـ] سعيد): نعم، إنَّ زواجنا صار بسَعْي دعد، وبواسطة دادا محمود بأمر أمير المؤمنين، ولم نخش بأسَ أحدٍ من العالمين، ولكن مع ذلك إن أمكننا الاصطلاح، نحصل على الراحة والنجاح؛ لأجل طرح الحسد، ونرفع من بيننا وبين أخيك النَّكَد؛ لأنه يوم خصامِه معك اتَّخَذني كمُساعد لك، وقطع من الزواج أملي وأملك، فالآن إن عرف أننا تزوَّجنا على غير رضاه، يقع بيننا ضرب السلاح بغير اشتباه، فالصواب أن نجعل سلمى تخاطب أمك كما علَّمناها، وتتملَّقها وتأتي على هواها؛ لأن النساء يعرفن أطباع بعضهن؛ فهي أدرى منَّا بطبعها، وقد قيل: لا تُقطع الشجرة إلَّا بفرعها ... ماذا أرى؟ ها هي أمك هناك.

سعيد ([لـ] حاجَّة): يا أمي، هل لك أن تُسْعِفينا وتُخلِّصينا من الخصام والانشباك؟ كلِّفي خاطرك، قابلي سلمى لتخبرك عمَّا مر.

حاجَّة ([لـ] سعيد): آه، أخوك سبَّب لي ... رح قبلًا أحضر الحكيم فهو ألزم وأضر.

سعيد ([لـ] عثمان): مسكينة، غياب أخي سبَّب لها المرض والدبلة.

سعيد ([لـ] حاجَّة): لا تفتكري من جهة أخي؛ فهو بخيرٍ، خالٍ من كل علة، ولو لم يكن الآن فات نصفُ الليل لكان رجَعَ من الدِّجْلة، ففِي الصباح يَرجِع بخير إن شاء الله.

حاجَّة ([لـ] سعيد): يرجع بخير، آه منك آه! قلتَ إن سلمى تُخبِرني عمَّا مرَّ، وتحكي لي الحكاية، لا بأس، لا بد من أن ألحق القصة إلى النهاية.

الجزء التاسع

(سعيد، عثمان، عرقوب)

عرقوب ([لـ] للاثنين):

مساءٌ سعيدٌ وعرسٌ سَنِي (٧) فدُوما بسعدٍ وعيشٍ هني

(ويتشاغل بعدد دنانير.)

الاثنان (لذاتهما):

تُرى مَن نباه بذي القصةِ أما كان معهم على الدِّجْلةِ؟

* * *

عرقوب (لذاته): هذا إيرادُ أمسِ بغير خلاف، وبهذه الليلة إن شاء الله أحصل على الأضعاف.

سعيد ([لـ] عثمان): لا بد أن يكون أخي آتٍ ويكون سكران، فلا ينبغي أن نواجِهَه قبل أن تقابِلَه أمي وتلطِّف معه الهيجان؛ ليلَّا نقَعَ معه في البلا والهوان.

عرقوب (لذاته): يجب أن أعمل طريقةً لترحيل سعيد وعثمان.

الاثنان ([لـ] عرقوب): لِمَا جيتَ عرقوبُ قبلَ الجميع؟ (٨)

عرقوب ([لـ] للاثنين):

كذا أمروني وإني مُطيع
وهم يتبعوني بوجْه العَجل

الاثنان ([لـ] عرقوب):

فهِمنا فنحن علينا شغل

الجزء العاشر

(عرقوب)

عرقوب (لذاته): يلزم أن أقفل عليهم الأبواب؛ ليلَّا يدهمنا منهم أحد ويخلَّ معنا الحساب، (يقفل باب اليمين والشمال) في هذه الزاوية أحسن ما يكون، ليظن معلمي أني

هنا من مدة طويلة مكنون ... يلزمني أن أدخل الصنعة هنا بكل الإمكان، أكثر ممَّا فعلتُ معه في الدِّجلة والإيوان، وبعد ذلك لا بد لي من نقْض الحساب مع محمود النديم؛ لأني بعتُه وزارتي بثمن غير عادلٍ ولا مستقيم (يضجع).

الجزء الحادي عشر

(عرقوب، أبو الحسن)

أبو الحسن (لذاته):

كلامُهما مَلا عقلي لكون أخي رَدِي الأصلِ
فأمسى يوم خلفَتِنا يهدِّدني على قتْلي
وأوعدني بمَكْيَدةٍ ليسحَرَني بلا شكلِ

بالحقيقة إن دادا مصطفى، كشف الأمر وأظهر الخفا، وعمي دادا محمود صادق على قوله المنظوم، فهذا عندي كلامه مكرَّس لأنه معصوم، فيقرب العقل أن يكون أخي الْتَجا إلى الساحر بهرام، خصوصًا بعد إحساسه بقدوم عساكر الأعجام؛ ليتزوَّج بدعد وأنا مشغول بالأحكام، وبعد قليلٍ أهلكُ بمحاربة أوليك الأقوام؛ لأن الأعجام كلٌّ منهم شديد في عزمه، وإنْ ضُرب عنقه يحمل رأسَه في فمه ولا يزال حتى ينتقم من خصمه، أما عثمان بعدما كان اتفق مع أخي يوم خلفتنا وشاركَه في الكيد والعناد، وأظهر ما في باطنه من الخبث والفساد، عاد ندم على خطئه، وعرف مكْرَ أخي وافتراه، والْتَجَا إلى الشريشي بما أنه ساحر أكبر، وأعرف من بهرام وأمهر.

فساعَدَنِي وأسعَدَنِي وأنجدَنِي من الخبلِ
تُراه علامَ مجتهدًا ... ليفضل صاحبَ الفضلِ
ويأخذ بنتي مفتخرًا ويقهر جوقة العدلِ
ويخطبني ويزوجني بدعد عديمة المثلِ

هكذا أوضح لي الدرويشان، فإذن أنا في بيتي ... أنا صاحٍ ... أنا يقظان، والتي كانتْ هنا لم تكن هند الحجازية، بل هي دعد، وغلطتُ بها إذْ كنتُ مدهوشًا قبل أن أعرف حقيقة الكيفية ... فالآنَ عرفتُ أنَّ بهرام ... آه! لازم أن يكون بهرام أعرف سحرًا من

مصطفى وأشهر؛ لأنه لولا ذلك لَمَا أَمْكَنَه أن يُكَرْدِسَنا جميعنا إذْ كنا على الدِّجْلة نسكر، غير أنَّ الدرويشَيْن مع ذلك أَوْعداني بكشْفِ العار، وأنهما بمساعدة الشريشي يأخذان لنا بالثار، أمَّا أنا فيخصُّني تأديب سعيد وطرْحه في الويل، ومجازاة عثمان بتزويجه بنتي في هذا الليل، وفي غد أبلغ الجهد؛ لكي أتزوَّج بأخته دعد … يلزمني قبلًا أن أستغفر من أمي؛ لأني إذْ كنتُ مدهوشًا قد أهنْتُها، وأقول لها الألفاظ التي تلقَّنتُها، وبعد ذلك أشتري كما أومرت كميةً من البخور؛ لأجل قضا المصلحة وإنجاز الأمور.

(يريد الذهاب نحو مخدع الحاجَّة فيرى نايمًا عرقوب الذي يكون ضحك على أبي الحسن مدة كلامه بمعزل.)

ها ها، هذا جع… عرقوب، مسكين، كيف يخط في نومه كأنه مكروب؟

عرقوب (لذاته):

ضــو الــنــهــار زيحي الستار (٩)

(أبو الحسن يسمع له ويضحك عليه.)

ذات الجمال يكفي دلال

أبو الحسن (لذاته):

هذا اكتوى مثلي سوا حاله يُعذر

عرقوب (لذاته):

إن لــم أنــلْ مــنــكِ الأمــلْ لم أكن جعفر

* * *

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): قم يا مفقع، قم وفر عنك التعب والعنا، ما في الميدان إلَّا أنت وأنا.

عرقوب (لذاته): كما أن الخليفة ناصر الدين يُغنِّي مع البنات الأبكار، فأنا أيضًا أريد أن ألعب على إسحاق البوَّاب وأخلصَك منه يا ضو النهار (أبو الحسن يضحك عليه مزدريًا به).

أبو الحسن ([لـ] عرقوب) (يتقلَّد صوت النساء): قم يا حبيبي أتتْ إليك محبوبتك، فأنا هي ضو النهار معشوقتك.

عرقوب (لذاته): آه يا ليلي آه! (يفتح عينيه ويهمُّ ليصافح ضو النهار فإذا هو أبو الحسن فينفر) ما هذا الذي أراه؟ (يجعل نفسه متحيرًا) أين أنا؟ مَن أنا؟ أين عزِّي راح؟ (يكرِّر نظره إلى أبي الحسن فاركًا عينيه جاعلًا نفسه كأنه يجهله، كل هذا وأبو الحسن يضحك عليه.)

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): أفٍّ، لماذا يا أمير المؤمنين استعملتَ معي هذا المزاح؟ (يرجع لينام.) الذي أراه الآن هو منام؛ لأني لستُ في دار الخلافة.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): ما نحن إلَّا في بيتنا، قم بلا أكل كنافة.

أبو الحسن (لذاته): مسكين مسكين! الحق معه أن يجهل الشك من اليقين، حسابي وافق حسابك، والذي أصابني أصابك، فأنا أعذرك دون الناس.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): قم يا هرِم قم؛ لأحكي لك القصة وأرفع عنك الالتباس.

عرقوب (لذاته): يا رباه! ما هذا البلبال؟! (يجلس.)

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): احكِ لي يا سيدي ما عندك بالحال، فعذري واضح بهذا الاستعجال؛ لأني حين أفتح عينيَّ أنظر منامات بكلِّ إكراه، وإذ أغمضها أحصل على تمام الانتباه.

أبو الحسن (لذاته): هذا طِبْق الذي أصابني بغير خلل.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): ويلك! ما أنا خليفة، ولا أنت وزير، اقطع الأمل، واعلم أن هذا سحر إلينا اتصل.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): سحر اتصل إلينا، بنا، فينا، منَّا، كيف؟ هل نكذِّب نظر أعيننا؟ أستغفر الله العلي العظيم، أنا لا أعتقد بهذا الرأيِ الوخيم، أكذِّب عيوني وأصدِّق الآذان؟! (مكرِّرًا هذه السجعة الأخيرة جملة أمرار.)

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): معلوم؛ لأن الأُذن تعشق قبل العين بعض الأحيان، هكذا روَتْ خالتي عن خالي عن الذي سقط من ماء السماء النعمان.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): ولو أن جبريل رواه عن إسرافيل، وإسرافيل رواه عن ميكاييل، عن …

عرقوب (لذاته): الذي يقبض روحك.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): إزرائيل، فأنا لا أصدِّق بالخبر! وأرتاب بالنظر، فأنت كن كما شئتَ، وأنا ماضٍ إلى المحل الذي منه جئت (يريد الخروج فيُمسِكه أبو الحسن).

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): ارجع قليلًا لأُنبِيك بحقايق الأمور، واصغَ لأعلمك بما نطقتْ به السطور.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن):

لم أصغَ قطعًا سامعًا ولا أريـدُ أرجـعُ
لم أصغَ قطعًا راجعًا ولا أريـد أسـمـعُ
لم أصغَ قطعًا هاجعًا ولا أريـد أقـنـعُ
لم أصغَ قطعًا قانعًا ولا أريـد أهـجـعُ

(أبو الحسن يُرجعه عنفًا.)

أبو الحسن ([لـ] عرقوب):

هبِ الفرار نافعًا قبضي عليك أنفعُ

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): أفٍّ، أفٍّ، احكِ يا سيدي، واقْضِها في لحيتي.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): تعال (يقبض على لحية عرقوب).

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): بحيث إنك تستعجل وتخلِّصني لأتوجَّه إلى مأموريتي.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): اعلم أنَّ دادا مصطفى كشف لي عن الأسرار، وأعلَمَني أنَّ مصيبتنا هي من سِحرٍ أدخَلَه علينا ساحر من كُهَّان عبدة النار الأشرار. (عرقوب يستوعب قليلًا قليلًا كلام أبي الحسن كأنَّه اقتنع) وذلك بسعْي أخي سعيد العديم الوفا.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): هذا كلام مصطفى؟

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): نعم، وأمرني لكي أشتري بخورًا من كبريت، وكميةً وافرة من حنتيت ومنتيت.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): آه! هذا ينفع لتمويت العفاريت.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): أيوا، ومقصوده به ليأخذ لنا عن الماضي بالثار، ويحمينا بالمستقبل من الأخطار.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): آه! لو كنتُ أجتمع مع سعيد لكنتُ ... كيدًا فيك ...

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): هدِّ خلقَك.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): اتركني لأبرد خلقي، الله يبقيك.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): هدِّ خلقَك، أمر سعيد يعنيني لا يعنيك، اترك هذا الآن واذهب اشتَرِ عنِّي البخورَ بالعجل، خذْ ثمنه، (يمد يده لجيبه) فأنا أريد أسلِّم على أمي، وأستغفر منها عن الخطأ والزَّلَل.

عرقوب (لذاته): سحر، مكر، كيف يمكن؟ من أين؟ أستغفر الله، أنا لا أكذِّب نظر العين. (أبو الحسن يشعر بورقة في جيبه فيُخْرجها.)

أبو الحسن (لذاته): ما هذه الورقة، ما هو معناها؟

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): جع... عرقوب خذ اقراها (عرقوب يتناولها وأبو الحسن ينظرها متعجبًا عند قراءتها).

عرقوب (لذاته):

أنا الشريشي المعلم أنا الحكيم المعزم (١٠)
لقد نقذتُك جهرًا من سحر بهرام قهرًا
فكن لفضلي شهيدًا واحذَرْ أخاك سعيدًا

* * *

تحريرًا سنة ماية وخمس وثمانين هجرية، حين باع عرقوب وزارته بقيمة دنية، (يطوي الورقة ويضعها في جيبه، وهذه الورقة يُظهِرها عرقوب في جزء ٢٣) ها هذا سند على محمود النديم ... دادا محمود أين هو محمود؟ أين مصطفى الندي... دادا مصطفى أين هو موجود؟

(يطوف في المرسح كالحاير المدهوش، وبهذه الحيلة يفتح الأبواب التي قَفَلها في الجزء المتقدِّم، وهي أبواب الشمال واليمين، وأبو الحسن يخمع من خلفه متقلِّدًا له.)

فأنا لا أقعد عن حقي ولا أعود.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): ويلك! بلا قلة عقل! كفى تفور وتدور، اتركني لأستَسْمِحَ من أمي وأنت اذهب اشترِ البخور، (يلتفت نحو الباب) ها هو عثمان، ما بقِيَ معي وقتٌ لأذهب إلى أمي وأترضَّاها، أنت قابِلْها عني واطلب لي رضاها، وإذا كانتْ دعد عندها قُلْ لها ألَّا تذهب قبل أن أراها، أبقِ الآن مشتَرَى البخور واقضِ هذه الرسالة بغير تعويق.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): الحق معك حقيق حقيق، ولكني أقول لك سلفًا إنك لازم تندم على كل هذا التصديق.

الجزء الثاني عشر

(أبو الحسن، سعيد، عثمان)

(سعيد مستترًا بعثمان.)

أبو الحسن ([لـ] عثمان): أهلًا وسهلًا ومرحبًا، مثلك فلتكن الأقربا.

أبو الحسن (لذاته): بماذا أكافيه عن تخليصه لي من السحر والأخطار؟ ... لازم أزوِّجه ببنتي قبل النهار.

عثمان (لذاته): آه! صار له علم بما فعلناه، وكلامه تهكُّم بغير اشتباه، فما بقي سوى أن أتملَّقه لأخلص من بلواه.

عثمان ([لـ] أبو الحسن):

يا سيدي ارفق بيَا واسمع مقالًا مرضيا
كن صاغيًا لشرحيا واحكم عليَّ أو ليَا
كان أخوك عنديا ... ...

أبو الحسن ([لـ] عثمان):

دع ذكره يا صهريا ذا ولدٌ عاري الحيا
مستغرقٌ بالكبريا سأشفي منه قلبيا

أما أنت فلكونكَ فعلتَ فعلًا عجيبًا لم يفعله سواك، وندمتَ على إهانتِكَ لي وخطاك؛ فلذلك أنا مرتضٍ من فعلك كلَّ الرضا، وصرتُ متَّحِدًا معك إلى الانقضا، وأما أخي ... حاشا لله أن يكون أخي، بل بابوجي وشروالي المرتخي، آه آه! خمسة عشر ماية آه! لو كانتْ عيني تراه!

سعيد (لذاته): كل هذا محسوب ما بقي إلَّا أن أظهر له وأطلب منه الغفران، والذي يفعله غدًا يفعله الآن، ولعلَّه يعفو عنِّي إن خضعتُ له كما عفا عن عثمان.

سعيد ([لـ] أبو الحسن): مولا... (١١) (يُظهِر ذاته من الزاوية ويتقدَّم نحو أبي الحسن.)

أبو الحسن ([لـ] سعيد): عليكَ ... (هاجمًا على سعيد.)

عثمان ([لـ] أبو الحسن):

ترفَّقْ (محاميًا عن سعيد.)

سعيد ([لـ] أبو الحسن):

مولاي، سامحني وأشفق

أبو الحسن ([لـ] سعيد):

عليك ويلٌ لتشبع

عثمان ([لـ] أبو الحسن):

ترفَّق، اعذر

عثمان ([لـ] أبو الحسن):

تشجَّع

أبو الحسن ([لـ] عثمان):

عدمتُ رُشْدي وصبري

أبو الحسن ([لـ] سعيد):

بالغتَ جدًّا بغَدْري

سعيد ([لـ] أبو الحسن):

إني بكم مستجيرُ حقًّا خطائي كبيرُ

* * *

(أبو الحسن يلتفت نحو باب الداخل.)

أبو الحسن (لذاته): عرقوب عرقوب، تعال انظر سعيدًا متذلِّلًا لديَّ، اسمع كيف يستغفر مني لأجل السحر الذي أدْخَلَه عليَّ، أكذِّب عيوني وأصدِّق الآذان؟! أكشِّب عيوني وأشدِّق الآشان؟! (مستهزيًا بعرقوب) تعال فانظر هل يوجد أعظم من هذا البرهان؟

سعيد ([لـ] أبو الحسن):

فأنت يا ذا المعالي أخي على كل حالِ (١٢)

عثمان ([لـ] أبو الحسن):

قد اشتكى بعيوبه

الجزء الثالث عشر

(المذكورون، ودعد)

الاثنان ([لـ] أبو الحسن):

فاصفح إذن عن ذنوبه

أبو الحسن ([لـ] دعد):

لبيكِ أنتِ مرادي سامحتُه من فؤادي

الاثنان ([لـ] سعيد):

كن إذن شاكرًا أفضاله يا سعيد (١٣)

سعيد ([لـ] للاثنين):

إنني طايعٌ أقواله كالعبيد

أبو الحسن:

إنني شانئ أفعاله بالأكيد
إنما دعد لإقباله تعطف الفؤاد الحديد

أبو الحسن ([لـ] سعيد):

فاعرف أربي واحلف بأبي ألَّا تحيد

الجزء الرابع عشر

(المذكورون، والخليفة، وجعفر)

خليفة ([لـ] وجعفر):

آه! وا ذُلَّنا! ذَلَّنا بهرام ورمانا بالسحر ذلك المكَّار (١٤)

لذاتهما:

لا بدَّ لنا من الانتقام والشريشي يُسعِفنا لأخذ الثار

عثمان ([لـ] دعد، سعيد):

رابوا عقلنا بهذا الكلام ويلاه! تُرى ما هذه الأسرار؟!

الاثنان ([لـ] أبو الحسن):

اعرف فضلنا أيُّها الهمام سوف تنظر الهول بكشف العار

أبو الحسن ([لـ] للاثنين):

كونا كما شئتُما وسُودا لكن دعا لي أخي سعيدا (١٥)
لي غرضٌ أن أراه وحده إن قَبِل الشرط لستُ ضدَّه

* * *

يا خليليَّ أرجوكما اتركاني وهذا العنيد

(مشيرًا على سعيد.)

شرِّفا مخدعي برهةً علَّه مانحي ما أريد
إنْ أبَى سوف أدعوكما

خليفة ([لـ] أبو الحسن):

خُذْ عليه الرباط الوطيد

جعفر ([لـ] خليفة):

لا تَخَفْ عقلُه ثاقبٌ

أبو الحسن ([لـ] خليفة):

لا تَخَفْ إنَّ عقلي فريد

الجزء الخامس عشر

(أبو الحسن، سعيد، عثمان، دعد)

أبو الحسن ([لـ] سعيد):

هل حقَّقتْ أُذناك البطش والقدرةْ؟ (١٦) فـذُقْ مـقـالـي وإلَّا تُـبْـلَ بـالـحـسـرةْ

سعيد ([لـ] أبو الحسن):

إني مطيعٌ أخِي مستعظمٌ قدرَهْ فـلـيـأمـرَنَّ لأنـي سـامـعٌ أمـرَهْ

أبو الحسن ([لـ] سعيد):

اصـغَ لـي بـلا مـلـل واحلف القسم (١٧)
هل تـريد تـترك لـي دعـد؟ قـل: نـعـم

الجميع ([لـ] أبو الحسن):

ويك مُتْ من الخجلِ أو مـــن الـــنـــدم
دعْ تـعـلُّـقَ الأمـلِ واقـطـع الـعـشـم

الثلاثة (لذاتهم):

قد أُصِيب بالخبل عـقـلُـه انـهـزم

الجميع ([لـ] أبو الحسن):

هـذا كـلامٌ عـن جـنـون يا مشتَهِي ما لا يكون (١٨)

أبو الحسن ([لـ] الجميع):

لـم أدرِ مـا مـعـنـاكـمُ؟ روحي فِدا هذه العيون

(مشيرًا على دعد.)

الثلاثة (لذاتهم):

ألـعـلَّه مـا اسـتـخـبـرا أوَليس يعلَمُ ما جرى

أبو الحسن ([لـ] الجميع):

هذا الحديث مضمَّنٌ هذا هو الأكل الـ... درا

الجزء السادس عشر

(المذكورون، والحاجَّة، وسلمى)

سلمى ([لـ] حاجَّة، بذاتهما):

الأمر مضى ما عاد حيلةْ (١٩) ... ...

حاجَّة ([لـ] سلمى):

لا تضطربي أنا كفيلةْ عـــــــنـــــــدي
إن أتحفكِ رضاه حتما ... ...

الجميع ([لـ] حاجَّة):

يا حاجَّة ما هذه المعاني؟ ... ...
أبديها تفوزي بالأماني أبـــــــــــــــــدي
هل جدَّ مصيبةٌ لسلمى ... ...

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن):

عثمان تصافى مع سعيدِ ... ...
ثم امتثلا أمرَ الرشيدِ ابـــــــنـــــــي

(متدلِّلة عليه وهو يتقلَّدها.)

ما المقصد في هذا الغناج؟ ... ...

حاجَّة ([لـ] أبو الحسن):

إن رُمتَ رضاي فاعفُ عنها ... ...
ثم ارضَ لها بل احتضنها يـــــعـــــنـــــي
بارك لهما على الزواجِ ... ...

أبو الحسن ([لـ] الجميع):

هذا قولٌ عسر الهضمِ أشعلتم في بطني النارَا
تتزوَّج بنتي بلا علمي

الجميع ([لـ] أبو الحسن):

أمرٌ ماضٍ شيءٌ صارا

أبو الحسن ([لـ] الجميع):

فإذن خلُّوا دعدًا قسمي

سعيد ([لـ] أبو الحسن):

اسكت هذا طيرٌ طارا

هذه عرسي، هذه شمسي

أبو الحسن ([لـ] سعيد): ذا المقال محال، هل أنت في ضلال؟

الجزء السابع عشر

(المذكورون، وعرقوب)

عرقوب ([لـ] أبو الحسن):

فلنأخذ الثارا

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): يا ويلاه يا ويلاه! الآن وقته، سبحان الله! اتركني لأدبِّر لي طريقة.

أبو الحسن ([لـ] عثمان): صهري عثمان، قل لي على الحقيقة (يأخذه على جهة ويتوشوش معه).

سعيد ([لـ] دعد): أريهِ الأمر الذي حصَّله لكِ دادا محمود من الخليفة؛ ليقتصر عنا بمخاطباته الكثيفة.

دعد ([لـ] سعيد): هو ذا الأمر في جيبي، وتسلَّمتُه بحضور رجل يُشبه عرقوب، قالوا لي إنه وزير، ولكني ما صدقتُ بذلك؛ لأنه غير مرهوب (يتوشوشان مع بعضهما).

حاجَّة ([لـ] عرقوب): قلتَ إن الدرويشين هما من نُدماء الملك السعيد، وإن محمودًا هو الذي استجلب أمر الخليفة إلى عثمان وسعيد.

عرقوب ([لـ] حاجَّة): نعم، والأبلغ من ذلك أنَّه بعد رضا معلمي حتى صدر أمر الرشيد.

عرقوب ([لـ] للحاجَّة وسلمى): ولكن ينبغي كما حلفتما لي أن تكتما السر؛ ليلًّا يغتاظا ويحرمانا من العطا والبر.

سلمى ([لـ] عرقوب): لا تفتكر من جهة كتم السر، فقط قل لي مَن من النديمين أكبر من رفيقه؟

عرقوب ([لـ] سلمى): مصطفى هو الأعظم؛ لأنه لا يُجرَى شي بدون أمره وتصديقه.

سلمى ([لـ] عرقوب): والخليفة، هل انشرح منك ومِن أبي وأنعم عليكما بشي يُذكر؟

عرقوب ([لـ] سلمى): صدِّقيني، إني ما رأيتُ لا الخليفة ولا جعفر، بل حسستُ بأنَّهما كانا يتفرَّجان علينا من وراء البلور. أمَّا من جهة الإنعامات ما حصل قصور، خصوصًا أبوك؛ بلغني أن الخليفة أنعم عليه بكلِّ المال الذي أخذه حين تخفَّى في زي النسوان، وفي الغد يُرسِله له مع هند الحجازية عوض امرأتِه التي طلَّقها قبل الآن.

عثمان ([لـ] أبو الحسن): نعم، كان حصل بيننا بعض مكالمات بهذه القضية، ولكننا لم نتعاهَد ولم نكتب بيننا حجة شرعية، ومع ذلك الأمر مضى.

أبو الحسن (لذاته): كيف، ما هذا القضا، لقد كوَوْني على الجمر، ولا أسمع منهم إلَّا كلمة: مضى الأمر، آه! راحتْ دعد، وما بقي لي غير القهر.

أبو الحسن ([لـ] حاجَّة): بارك لهما على الشواشي، الآن فهمتُ أنَّ كلامكِ عن مكر ناشي، مَن تزوج؟ قولي لي، قولي، هل تزوجتْ دعد بنت الشمولي؟ اعجلي بالجواب يا بنت آوي، قبل أن يأتيك الكاوي. (يهجم عليها ليضربها فتتستَّر بدعد فيُحاميها عثمان.)

عثمان ([لـ] أبو الحسن): كفاك قلة أدب.

أبو الحسن ([لـ] عثمان): أنت أيضًا خصمي.

أبو الحسن (لذاته): ما هذا الغضب؟

دعد ([لـ] حاجَّة): قومي يا حاجَّة، لا تخافي أصلًا (الحاجَّة تنهض من ورا دعد).

حاجَّة ([لـ] دعد): هل ضربني أم لا؟ (دعد تبتسم مستهزية بالحاجَّة.)

دعد ([لـ] حاجَّة): لا بد أوصل إليكِ بعض ضربات.

حاجَّة ([لـ] دعد): آه آه آه! (باكية)، ارحموني يا أصحاب الرحمات.

سلمى (لذاتها): آه آه آه! (باكية)، وأنا أيضًا وصل لي وهج الشرار.

عرقوب (لذاته): آه آه آه! (باكيًا تقليدًا للحاجَّة وسلمى)، وأنا هذه الليلة لم أزلْ ما قبضتُ ولا دينارًا.

حاجَّة (لعرقوب وسلمى): أقول لكما الصحيح، أنا ذايقة طعمة الكاوي، اسمعا ما قال الراوي، الهرب ثلاثة أرباع الشجاعة (وتذهب مهرولة).

سلمى ([لـ] حاجَّة): وأنا معكِ، لا أفارقكِ ولا ساعة (تتبع الحاجَّة).

عرقوب (لذاته): وأنا لا أتحرَّك من هذا الحوش حتى أنظر حسابي مع الجماعة.

الجزء الثامن عشر

(أبو الحسن، سعيد، عثمان، دعد، عرقوب)

أبو الحسن (لذاته): ما هذا الغضب؟ دعد تزوَّجها سعيد، إن كان صحيحًا لا بدَّ أن أطلِّقها منه قبل الموسم الجديد. ها لهذا السبب دعد وسلمى متزيِّنتان بالحُلَى والحُلَل، هذا لأجل زواجهما ... يا ربي، كيف العمل؟! (متأسفًا.)

سعيد (لذاته):

أراه كمستعجبٍ لما صار يا للعجب

سعيد ([لـ] أبو الحسن):

أنا صار لي نحو سا عةٍ في الشقا والتعب
ذليلًا ومستغفرًا لتعفُوَ عمَّا ذهب
أليس لكوني أخذ تُ دعد افتخار العرب

أبو الحسن ([لـ] سعيد): اسكت لا تذكر هذا الفال، أنت ما كنت تستغفر مني لأجل هذا المحال، بل استغفرتَ مني لأجل ما أدخلْتَه عليَّ من السحر والأهوال.

سعيد ([لـ] أبو الحسن): السحر والأهوال؟!

سعيد (لذاته): آه آه آه (متقهقهًا)، ما أحلاه!

عثمان (لذاته): آه آه آه (متقهقهًا)، يا رباه!

دعد (لذاتها): آه آه آه (متقهقهة)، ما أشهاه!

أبو الحسن ([لـ] وعرقوب): آه آه آه (تقليدًا لهم)، اسم الله! آه آه آه، ما شا الله!

أبو الحسن ([لـ] دعد): يا ناكرة الجميل، ولكن بغير شك هم ألزموكِ، وعلى الزواج بسعيد هم غصبوكِ.

دعد ([لـ] أبو الحسن): وحياتك لم يغصبني أحد، في هذا البلد، ولكن الرشيد هو الذي أمرنا لنتزوج كما رأيت، وأنعم على كلٍّ منَّا بألف دينار لتجهيز البيت، وكان ذلك بهمة دادا محمود، وهو ذا أمر الخليفة (مبرزة له الورقة التي تناولتْها من جعفر في الفصل الثاني)، أيَّدَه الإله المعبود.

أبو الحسن (لذاته): يا سلام، يا سلام، هذا أنا الذي أمرتُ بتكتيب هذا الأمر إذْ كنتُ في الإيوان.

عرقوب (لذاته): يا سلام، يا سلام، وأنا نظرتُه هناك بعدما بعتُ وزارتي بأَوْكس الأثمان، أين دادا محمود، أين دادا محمود؟ (يجول هنا وهنا) فأنا ما بعتُه وزارتي إلَّا حينما كنتُ سكران.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): قل أيضًا إن هذا سحر، فهل يوجد أعظم من هذا البرهان؟

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): الحق معك، تعال لننظر الدراويش، لا لا، اصبر لأفحص عن شي ورد إلى بالي.

أبو الحسن ([لـ] دعد): هند ... دعد تعالَيْ هنا ... أنا سمحتُ لكم عن كل شيء بحيث تُخْبريني عن حقيقة حالي. (يخاطبها في همسٍ كأنه يقول لها سرًّا أنه كان ملكًا وهو آمِر بما صار.)

سعيد ([لـ] عرقوب): ويلك عرقوب ما هذا الكلام الذي تتكلَّمه؟ أنت أيضًا مجنون.

عرقوب ([لـ] سعيد): عن قريب يظهر السِّرُّ المكنون (يختلي مع سعيد وعثمان).

دعد ([لـ] أبو الحسن):

لا تكمِّل لله هـ ـذا الحديث المكدَّرا
إنما النجم أقرب لك حتى حال الكرى
ثم فلنفترض كلا مًا محالًا مستنكرا
أنت لو صرتَ مالكًا هل تولِّي مقهقرا؟
أوَترضى لزيجتي بسعيدٍ كما جرى؟

أبو الحسن ([لـ] دعد): مسكينة على قلة عقلك! وهل مثلي حينئذٍ كان يسأَل عن مثْلِك؟! يا مسكينة، أنا كان عندي، ولم يَزَلْ عندي مبلغ من الجواري، كلٌّ منهن تفوق عليك وعلى الحواري.

عرقوب (لذاته): بلا تلتلات، ما كان عندك غير الخدَّامات، وكم جارية من المُغنِّيات.

أبو الحسن ([لـ] دعد): ما لنا وهذا كله؟ فلنتركه على جهة لوقته، قولي لي أما سمعتِ بتطويف طه ورفقته؟

دعد ([لـ] أبو الحسن):

إي نعم، هذا انقضى أمسِ

أبو الحسن ([لـ] دعد):

ضحوةً في غيبة الشمسِ
ويكِ، ألم تقبلي كَلِمي؟ أضرب الآن بكِ نفسي
لم يكن غيري مقاصصهم حينما قد كنتُ في أنسي
قسمًا لولا شفاعةُ هند لمات الكلُّ في حبسي
لم يكن غيري مآمركم غلطًا في ذلك العرسِ

أبو الحسن (لذاته): يا إلهي! (عرقوب يضع يده على فمه كأنه يحرِّض سعيدًا وعثمان على كتم السر.)

أبو الحسن ([لـ] الجميع):

ويلكم فأنا أنا سلطانٌ على جنسي

عرقوب ([لـ] دعد): نعم نعم، أنا أكبر شاهد بأنه سلطان العالم، وأنا ...

أبو الحسن ([لـ] الثلاثة): وهذا وزيري يا بني آدم.

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): تعال معي لنعمل لنا طريقة، ونتخلص من هذه الضيقة، أدركني، أدركني.

أبو الحسن ([لـ] عرقوب): اتركني، اتركني (ويتَّكي).

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): لا أتر...

أبو الحسن ([لـ] عرقوب):

كفى أن تزعجني اتركني فعقلي

عرقوب (لذاته):

مسلوبُ

عثمان ([لـ] دعد): أتعرفين يا دعد مَن هو دادا محمود الذي أبْدَى معنا كلَّ هذا الإحسان؟ اعلَمِي أنه هو ودادا مصطفى نديمان عند مَلِك الزمان، وقد أدْخلا الحيلة على أبي الحسن، وجعلاه خليفةً بمطابقة هذا الخادم المؤتَمَن، وما ذلك إلَّا لأجل تنزيه الرشيد.

دعد ([لـ] عثمان): ماذا أسمع؟! هذا شي بعيد.

سعيد ([لـ] دعد): والوزير المعلوم الذي أخبرتني عنه، ها هو أمامكِ خذي ثأرَكِ منه. (مشيرًا على عرقوب، وعرقوب يلتفت نحو الباب ويُومي إلى سعيد وعثمان ودعد لكي يسكتوا.)

أبو الحسن (لذاته): يا أمة الدين، أدركوا مَلِكَكم ناصر الدين، (وينهض واقفًا) الوحا الوحا فأمري واضح مبين، تملَّكتُ منذ أربع سنين، في اليوم السابع والثلاثين، من شهر محرم الحرامين، سنة إقبال العنب والتين.

عرقوب (لذاته): نعم، وأشهد، والله خير الشاهدين.

أبو الحسن ([لـ] الثلاثة): قولوا لي بعد هذه الشهادة، أما تصدِّقون بأني أمير المؤمنين؟!

الجزء التاسع عشر

(المذكورون، والخليفة، وجعفر)

خليفة ([لـ] أبو الحسن): يكفي يا رجل شقشقة لسان، يكفي تدَّعي بكرسي ملك الزمان.

أبو الحسن ([لـ] خليفة): وأنتَ، ماذا إليك لتعارضني بهذه المعارضة العنيفة؟

خليفة ([لـ] أبو الحسن): تأدَّبْ والْزَم الاحتشام؛ فأنا لست درويشًا بل من أتباع ... الخليفة.

جعفر ([لـ] أبو الحسن): بل من نُدماء ... حضرته الشريفة.

خليفة ([لـ] جعفر): زِدْهُ أيضًا إيضاحًا لمعرفة القضية، وقل له إني من حُجَّاب ... ذات الدولة البهية.

جعفر ([لـ] أبو الحسن): لا، بل إنه وزير ... مولانا الرشيد، صاحب الملك الوطيد.

عثمان ([لـ] عرقوب): عرقوب، أرى الحال تبدَّل.

عرقوب ([لـ] عثمان): أنا أعلم، تغير المعدَّل.

خليفة ([لـ] جعفر): جعفر، أخبرهم بالحقيقة، وارفع من ضميرهم الوسواس.
جعفر ([لـ] الجميع): وإنْ شئتمُ الإيضاح عن هذا الالتباس، فاعلَموا أنَّ هذا هو هو الخليفة هارون الرشيد الخامس من بني العباس، (هنا يصير ضوضاء وهيبة في المرسح من الجميع) وأنا وَزِيرُه جعفر، المغمور منه بفضلٍ لا يُنكَر، وما لبس الدراويش إلَّا من عادة الملوك، لينزِّهوا صدورهم ويفتَقِدوا رعاياهم من غنيٍّ وصعلوك.

(أبو الحسن يبتدي يهتزُّ خوفًا والخليفة يصفِّق بكفَّيْه.)

الجزء العشرون

(المذكورون، والجوقة)

جوقة ([لـ] خليفة):

قد جاء عبيدُكَ يا ملكُ فأْمُرْهم كي يقضوا أمرك (٢١)
لا زال بخدمتك الفلكُ ويعظم بارينا قدرك

عرقوب ([لـ] أبو الحسن):

يكفي تهتز وتحتركُ

جوقة ([لـ] خليفة):

والله يُطيل لنا عُمرك

عرقوب ([لـ] أبو الحسن):

اتَّقِ السلطان

أبو الحسن ([لـ] عرقوب):

ويكَ يا شيطان!
ذا الغنا لنا ذي الجند لي أنا ذا الأمر لا يُدرك

الجزء الحادي والعشرون

(سعيد، عثمان، دعد، عرقوب، الخليفة، جعفر، جوقة)

خليفة ([لـ] عرقوب):

أنت عرقوب أستاذك اتبع (٢٢) وأْتِني فيه بالحال وارجع
كي تنالوا كلُّكم منَّا السعادة ... ...

عرقوب ([لـ] خليفة):

حيث هذه الحقيقة لم أَغِبْ إلَّا دقيقة

الجزء الثاني والعشرون

(سعيد، عثمان، دعد، عرقوب، الخليفة، جعفر، جوقة)

جعفر ([لـ] جوقة): هاتوا كيس المال كي تقضى الإرادة (واحد من الجوقة يناول جعفر كيسًا).
الجميع (لذاتهم): دام مولانا بعزٍّ وسيادة.
جعفر ([لـ] خليفة):

لقد تهبَّتْ ثياب الفخر والجاهِ (٢٣) فهل لها شرفٌ من جسمك الباهي

خليفة ([لـ] لجعفر وجوقة): فليُجرَ حسب رسوم العالم الزاهي

(واحد من الجوقة يُلبِس الخليفة ثيابَه الملوكية التي كان لابسها أبو الحسن بالفصل الثاني مع التاج والعصا.)

دعد ([لـ] عثمان): ما هذا المجد والفخار!
سعيد ([لـ] دعد): ما هذا العز والاعتبار!
عثمان ([لـ] سعيد): ما هذه الهيبة والوقار!
خليفة ([لـ] جوقة): ولبِّسوا جعفرًا أيضًا ملابسه (٢٤) (واحد من الجوقة يُلبس جعفر ملبوس الوزارة الذي كان لابسه عرقوب بالفصل ٢.)

دعد ([لـ] سعيد): ما هذا الكمال!
سعيد ([لـ] عثمان): ما هذا الجمال!
عثمان ([لـ] سعيد): ما هذا الاحتفال!
خليفة (لذاته): جميعه زايلٌ والملك للهِ (٢٥)
جوقة (لذاتهم):

الملك لله الواحد القهار الحمد لله القادر الجبار

(دُعا بصوت عالي.)

جوقة ([لـ] خليفة):

هودج العز أضحى معدًّا كي يطأه المليكُ المُفَدَّى (٢٦)
فمتى استحسن مولانا الخليفة ... ...
نقل أقدام سنية ... ...
بالمسرات الوفية ... ...

جوقة ([لـ] خليفة):

كلنا نسعى لتتميم الوظيفة ... ...
خادمين الحضرة العُلْيا المنيفة ... ...

خليفة ([لـ] جوقة):

ينبغي قبلًا جزا هذه اللفيفة ... ...

الجميع ([لـ] خليفة):

يحيى فريد العصرِ سلطاننا المفضال (٢٧)
ادعوا له بالنصر والعز والإقبال
واهتفوا جميعًا نصرهُ اللهُ

الجزء الثالث والعشرون

(المذكورون، وأبو الحسن، وعرقوب)

عرقوب ([لـ] خليفة):

عـبـدٌ أتـى مـطـيـعًـا والأمـر أقـضـاهُ (٢٨)
أتيتُ مع معلمي أبي الحسن لكنَّه أصابه شوم المحن (٢٩)
قد صار مما قد لقي محزونا بل صار مما قد رأى مجنونا
كنتُ إذا حدَّثتُه فلا يعي لولا احتيالي لم يكن أتى معي

(أبو الحسن يزيد اضطرابًا رويدًا رويدًا.)

جعفر ([لـ] أبو الحسن):

ماذا اعتراك أيها المغفلُ؟ اثبت لتحظَى بعطاءٍ يُذهِلُ

أبو الحسن ([لـ] جعفر):

منِّي على عنِّي له معناهُ

خليفة (لذاته):

واهًا عليه! نحن أضْررْناهُ

خليفة ([لـ] وجعفر):

رأى أمورًا لم يكن رآها فعقله الصغير ما حواها

أبو الحسن (لذاته):

أنا أمير الدنيا لكنَّ ذا أكبر (٣٠)

(مشيرًا إلى الخليفة):

وهذا تاج العليا لـكنَّـه أصـفـر

(مشيرًا إلى التاج):

هذه قميصي الخضرا والـجـن يـشـهـدون

(مشيرًا إلى البرفير):

عصاي هذه الحمرا يـا رب اعـبـدون

(مشيرًا إلى الصولجان):

هذه مماليك لي كالكوكب المقلي

(مشيرًا إلى الجوقة):

مَن كان يرضى مثلي يَـبـقَـى بـلا عـقـلِ

أبو الحسن ([لـ] عرقوب):

عرقوبُ، انظر نظرة أين الفتى إسحاق؟

* * *

عرقوب ([لـ] أبو الحسن): يا ويلاه يا ويلاه! الآن وقته، سبحان الله!
أبو الحسن ([لـ] عرقوب):

أرمـى بـقـلـبـي حسـرة وطار في الآفاق (٣١)
انــظــر بــلا دولابِ واسـمـع بـلا مـفـتـاح
كسـرتَ لـي أنـيـابـي هـيـهـات بـالأقـداح

خليفة (لذاته):

هذا اندهاشٌ فاجاه بالعجلِ (٣٢) لكنه عرضٌ يُشفى متى اغتنما
يُبرى بإذن المولى كما أمَلي

خليفة ([لـ] جعفر):

أي جعفرُ، امنحهم الإحسان والنعما

عرقوب (لذاته):

إنَّ العطا إنسانٌ إلى المقل فهو الطبيب المداوي العقل والسقما

جعفر ([لـ] الجميع): تقدَّموا نحوَ العارِض الهَطِلِ (يتناول كيس الدراهم ويرشُّ منه عليهم في المرسح).

... ... وادعوا لمَن عدله قد أملأ الأمما

الجميع ([لـ] خليفة):

يا ربنا أيِّد أعظم الدول وأبقِ سلطاننا بالنصر معتصما
واحفظ لنا وزيرنا ناظورة الزمان (٣٣)

(جعفر يرشُّ أيضًا عليهم دراهم.)

عرقوب ([لـ] جعفر):

يا ذا الوفا كن منصفا بالزود والنقصان
هذا السند إلى الأبد يبقى معي رهان

(يُبرِز عرقوب الورقة التي تناولها من أبي الحسن بهذا الفصل جزء ١١ فيَرَاها أبو الحسن ويندهش، ويُظهِر التأسُّف بفَرْك الأيادي ولطْم الأوْجُه وعضِّ الأنامل؛ ليُظهِر أنه أحسَّ وأشعر بالملعوب.)

فـاذكـر خـطـاب نـقـض الـحـسـاب إذْ كنت فى الإيوان
وبـيـعـتـى وظـيـفـتـي بـأوكس الأثـمـان
وحـيـلـتـي فـي الـدِّجـلـةِ والقصر حتى الآن

(جعفر يرشُّ دراهم أيضًا.)

أبو الحسن (لذاته):

هـا هـا هـهـا عـقـلـي انـدهـى دهاه ذا الشيطان

(مشيرًا على عرقوب):

شـيـخ الـضـلال هـذا الـمـقـال مـضـمـنٌ بـيـان
فـالآن جـاد عـقـلـي وعـاد حسستُ فيما كان
عـرفـتُـهُ كـشـفـتُـهُ يا أيها الخوَّان

(أبو الحسن يصفع عرقوب هايجًا عليه، وعرقوب غير مبالٍ، ويجمع من الدنانير التي رشَّها جعفر على الأرض، وذلك لحد نهاية الفصل.)

الجميع (لذاتهم):

لـقـد درى بـمـا جـرى لكنْ مضى الأوان

خليفة (لذاته):

يا للعجب!

خليفة ([لـ] جعفر):

فـلْـيُـكـتَـتَـب حديثُ ذا الإنسان

(مشيرًا إلى أبي الحسن):

وسِرْ بنا لسِرْبِنا

(يأخذ جعفر من يده ويتأهَّب للذهاب.)

الجميع ([لـ] خليفة):

بالحفظ والأمان

فهرست ألحان رواية أبي الحسن المغفل

الفصل الأول

عدد

١ نغمه أوج عراق، أصوله صوفيان، شغل مطلعه: البدر أضحى خدَّامك.

٢ نغمه مثله، أصوله أقصق، شغل مطلعه: بأبي باهي الجمال.

٣

٤ نغمه أوج، أصوله صوفيان، شغل مطلعه: يا ذا الغال صبري مال.

٥

٦ نغمها أوج، أصولها صوفيان، طقطوقة مطلعها: دشرني تا روح سيبني تا روح، ولها عروض نظم المرحوم المؤلِّف مطلعه: نسرينٌ يلوح في الوجه الصبوح.

٧

٨ نغمه أوج عراق، أصوله سماعي، شغل مطلعه: شجني يفوق على الشجون.

٩

١٠ نغمه أوج عراق، أصوله يكرك، شغل مطلعه: لله أخا البدر كفى منك تواني.

١١ نغمه أوج، أصوله أيضًا يكرك، شغل مطلعه: تلك المنازل والقصور العالية أنوارها لاحت لنا.

١٢ راجع عدد ١٠ (أي لله أخا البدر ... إلخ).

١٣ نغمه أوج عراقي، أصوله يكرك، شغل مطلعه: يا أهيل الحبش مَن بكفه نقش.

١٤ نغمه عجم، أصوله مروشان، شغل مطلعه: آه من جور الغرام.

١٥ نغمه أيضًا عجم، أصوله ستة عشري، شغل مطلعه: يا مفرد الحسن صِلْني وارحم بوصلٍ عبيدَك.

١٦
١٧ النغم جاركاه، الأصول صوفيان، طقطوقة مطلعها: هيا بنا هيا بنا للحرب نلقى ضدنا.
١٨
١٩ نغمها منه: الأصول صوفيان، طقطوقة مطلعها: أهل البلد دي لاموني.
٢٠
٢١ نغمه عجم، أصوله أقصق، شغل مطلعه: طالع الأفراح حيَّانا.
٢٢ نغمه جاركاه: أصوله صوفيان، شغل مطلعه: ما علينا ما علينا يا هو.
٢٣
٢٤ نغمه عجم، أصوله سماعي، شغل مطلعه: يا مَن رماني بالهوا وبالجفا قلبي كوى.
٢٥
٢٦ نغمه عجم أيضًا، أصوله يكرك، شغل مطلعه: شادنٌ صاد قلوب الأمم بجمالٍ وشرد.
٢٧ نغمه نوى، أصوله يكرك، شغل مطلعه: ساقي الراح اسقِنِي صرفًا بالقدح.
٢٨ نغمه راست، أصوله يكرك، شغل مطلعه: العيون الكواسر سبوني.
٢٩ نغمه راست أيضًا، أصوله يكرك، شغل مطلعه: يا صاحب الوجه المليح، وبهذا اللحن أيضًا نظم — رحمه الله — النشيد الذي هو دعاء إلى السلطان أوله: يا رب يا إلهنا، أعز بادشاهنا، نصيرنا وجاهنا، عبد المجيد خان ... إلخ، والمصراع الأخير يتكرَّر بمقتضى الحال ثلاث مرات.

فهرست الفصل الثاني

١ نغمه عشيران، أصوله أوفر، شغل مطلعه: شرد نومي ونفى برق من الفور لفى.
٢
٣ يا رب البرية ... إلخ، هي حركة عالية من النغم ذاته تهتف بها الجوقة سوية مشيرة إلى الدعاء مثل الدعاء الذي تهتف به العساكر حين قولهم: بادشاه جوق ياشا، ويتكرَّر ثلاث مرات.
٤
٥ نغمه عشيران، أصوله صوفيان، شغل مطلعه: العيون النرجسية تورث القلب السقام.
٦
٧
٨ الشغل ذاته، ولكن هنا الخانة والغطا؛ أي من قوله: «رح بحفظٍ وسرور ... إلخ.»

٩
النغم صبا، الأصول صوفيان، طقطوقة مصرية مطلعها: يا ليل يا ليل يا ليلي آه، وإن أشكلت
١٠ عليك راجعها بفهرست زاوية البخيل.
١١
١٢ النغم ذاته، الأصول صوفيان، طقطوقة أيضًا مصرية مطلعها: شاله سليمى، وعروضها: إن
تبعديني.
١٣ نغمه عشيران، أصوله أقصق، شغل تركي مطلعه: هي شاه ممتاز ملكك.
١٤ نغمه صبا، أصوله صوفيان، شغل مطلعه: قد ملكت قلبي بدر الجمالِ.
١٥ مواليا من النغم ذاته.
١٦ عودٌ إلى عدد ١٤ (أي: قد ملكت قلبي ... إلخ).
١٧
١٨ النغم صبا، الأصول سماعي، شغل مطلعه: ريم الحجاز لمتى بأرضك يرتع؟
١٩
٢٠ نغمه بيات، الأصول سماعي، شغل مطلعه: حبي ملك قلبي بحسنٍ قد فتن.
٢١
٢٢ عودٌ إلى عدد ١٨ و١٩ (ريم الحجاز).
٢٣
٢٤
٢٥ نغمه بيات، أصوله أقصق سماعي، شغل مطلعه: آه يا مرادي إلى كم هذا الجفا والدلال؟
٢٦ نغمه بيات، «راحة الأرواح»، أصوله جفته، شغل مطلعه: أيها البدر الأتم.
٢٧ من الشغل ذاته، مثل قوله: والزهر انتثر.
٢٨ نغمه حسيني، أصوله يكرك، شغل مطلعه: ناح الحمام المطوق.
٢٩ نغمه عشيران، أصوله يكرك، شغل مطلعه: أي مخترق الفلا على ظهر قَعود.
٣٠ نغمه عشيران، أصوله يكرك، شغل مطلعه: إنما أنت قمر زار في داجي السَّحَر.
٣١ من الشغل ذاته، وهي خانة الشغل المذكور «إنما أنت قمر»، ومثل ذلك أيضًا قوله: «حضرني
أمرتها ... إلخ»، ويجوز أيضًا أن يتلحَّن هذا العدد؛ أي ٣١ على الشغل اليكرك المعروف
مطلعه: راق أنسي بالمُدامة وانجلى كأس الطلا (وهذا الأصح).

فهرست الفصل الثالث

١
٢ نغمه ماهور، أصوله مخمس مصري، شغل مطلعه: يا ساقي الندمان املا واسقيني.
٣
٤
٥ نغمه ماهور أيضًا، أصوله صادة (أو سادة) شغل تركي مطلعه، برملك سما، (وبالعربي): إله السما خصك يا زين.
٦ عودٌ إلى الأول؛ أي عدد ١.
٧ نغمه ماهور أيضًا، أصوله صوفيان، شغل مطلعه: أتاني زماني بما ارتضى.
٨
٩ عودٌ إلى عدد ٥.
١٠
١١ نغمه راست، أصوله سماعي، شغل مطلعه: زاهي جمالك فتنِّي لما ظهر حاجبينك.
١٢
١٣ نغمه نوا، أصوله يكرك، شغل مطلعه: ساقي الراح اسقني صرفًا بالقدح.
١٤ نغمه راست، أصوله يكرك، شغل مطلعه (بالأعجمي): برهى زوبيه (وبالعربي): يا بدرًا أتم يا حلو الشيم.
١٥ نغمه راست، أصوله يكرك، شغل مطلعه: زار على رغم كل واشٍ.
١٦ نغمه راست أيضًا، مواليا (يصفيه على الأوج إن أمكن).
١٧ نغمه أوج، شغل مطلعه: شادنٌ وقد قال لي (راجع عدد ٢٣ من الفصل الخامس بفهرست رواية البخيل).
١٨ نغمه ماهور، أصوله يكرك، شغل مطلعه: آس العذار بوجنتيه، ولها عروض تأليف المصنف دعاء إلى السلطان مطلعه: يا سامعًا منَّا النِّدا.
١٩ نغمه راست، أصوله يكرك، شغل مطلعه: يا مَن لعبت به الشمول، وقوله: عندي، أبدي، ابني، يعني، يتكرَّر ذلك مرارًا لموافقة الأصول طبقًا لِمَا ورد بأصل الشغل من الترن بقوله ديرتن ديرتن ... إلخ.
٢٠ هذا قولٌ عسر الهضم، إلى قوله: فلنأخذ الثارا: على لحن بيبل فرانسي: بيبل دي برافو، وهو
٢١ لحن إفرنجي، راجع فهرست رواية البخيل (وعدم وضع رقم عدد ٢٠ هو سهو طبع).

٢٢ نغمه راست، أصوله يكرك، شغل مطلعه: العيون الكواسر سبوني.

٢٣

٢٤ نغمه راست، مواليا، يتلحن بما أمكن من التطويل لبينما يُغيِّر الرشيد وجعفر أثوابَهما.

٢٥

٢٦ عودٌ إلى عدد ٢٢.

٢٧ نغمه راست، أصوله يكرك، مطلعه: مبروك سافر علحرب، الأصل فرانساوي، راجع فهرست رواية البخيل.

٢٨ منه ذاته.

٢٩ نغمه راست، أصوله يكرك، شغل مطلعه: ما كل مَن ذاق الهوى متيَّم.

٣٠ عودٌ إلى عدد ٢٧.

٣١

٣٢ نغمه راست، أصوله يكرك، شغل مطلعه: شكوا لنا والله حالهم بعدي.

٣٣ نغمه راست، أصوله يكرك، شغل مطلعه: يا صاحب الوجه المليح ومايس القد الرجيح، أو شغل مطلعه: كان المليح معي مليح، ويقرب إلى ذلك أيضًا تلحين الدعاء للسلطان نظم المؤلف، رحمه الله، وهو: يا رب يا إلهنا أعز بادشاهنا نصيرنا وجاهنا عبد المجيد خان، وإنما تتلحن على الشطرين الثانيين منها، أي نصيرنا وجاهنا وما بعده، لا على شطري المطلع.

هنـــداوي